التمرد الضدي للذات وسلطة المجتمع

قراءة سيكولوجية في روايتي (أنا حُرة والطريق المسدود)

Rebellion against the self and the authority of society
A psychological reading in two novels
("I am free" and "The Dead End")

إعداد

سارة محمود حسن علي
Sara Mahmoud Hassan Aly

Doi: 10.21608/mdad.2023.295776

استلام البحث ٢ / ٢ / ٢٠٢٣
قبول النشر ١٧ / ٢ / ٢٠٢٣

علي، سارة محمود حسن (٢٠٢٣)، التمرد الضدي للذات وسلطة المجتمع، (قراءة سيكولوجية- في روايتي أنا حرة، والطريق المسدود). ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢١)، ١٣٧ – ١٧٦.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التمرد الضدي للذات وسلطة المجتمع
قراءة سيكولوجية في روايتي (أنا حُرة والطريق المسدود)

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى تناول ظاهرة التمرد لدى الذات ، التمرد المقصود ليس كما اعتدنا عليه من التعنت والرفض للتقاليد والعادات الصحيحة، ولكن هنا سوف أدرس رفض الذات لسلطة المجتمع التي نشأت فيها، سواء كانت هذه السلطة من العادات والتقاليد الصحيحة التقليدية أو العادات والتقاليد المتحررة الخاطئة، ، أي من الممكن أن يكون التمرد النفسي، سلبيا أو إيجابيا للذات، مستشهدا بروايتي (أنا حرة و الطريق المسدود) من تأليف الكاتب إحسان عبد القدوس.

الكلمات المفتاحية: التمرد – سلطة المجتمع – رواية – النبذ المجتمعي – الراوي العليم

Abstract:

This study aimed to study the phenomenon of self-rebellion, but in this research we find that rebellion was not as we are accustomed to intransigence and rejection of the correct traditions and customs, but here I will study self-rejection of the authority of the society in which it originated, whether this authority is from the correct traditional customs and traditions Or the wrong liberal habits and traditions, that is, psychological rebellion can be negative or positive for oneself, citing my novel written by the writer Ihsan Abdel Quddous..

Keywords: Rebellion - Community Authority - Novel - Community Rejection - The Knowing Narrator.

مقدمة:

إن انتشار ظاهرة التمرد والعنف من أكثر ما تكون لدى الفرد قبل نبوغه، وتكون تجاه السلطة التي ينشأ منها سواء الأسرة أو المؤسسة التعليمية والاجتماعية، ويميل الفرد عند ممارسة سلوك التمرد النفسي إلى العنف لإثبات ذاته، لاسيما **عندما يتعرض للنقد**

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والتجريح، إذ يصاب بما يسمى بـ "حمى الاندفاع والتسرع"[1]**، لذلك من الممكن أن لا يُراعي الضوابط الاجتماعية والأخلاقية في سلوكه**. وتلعب الأسرة دورًا مهما في تنشئة الفرد، فهي تسهم بشكل رئيسي في بناء شخصية الفرد، والأسرة هي التي تلقن الطفل ثقافة الجماعة ولغتها، وعاداتها وتقاليدها، مما يمكنه من التكيف والتوافق مع الوسط الذي يعيش فيه، وعلى طريقة نهج الأسرة في تنشئة الفرد يظهر سلوكه، فإذا كانت الأسرة تنتهج نهجا استبداديا على الفرد، وهذا النهج يقوم على التسلط والقمع، فقد يؤدي إلى تمرد الفرد وثورته والكشف والبحث عن نفسه، ليشعر بذاته.

فهل يختلف التمرد النفسي من فرد إلى فرد آخر؟ وهل يوجد ما يميز التمرد؟ وهل يختلف مستوى التمرد النفسي باختلاف الموقع الجغرافي لدى الفرد؟ وهل يوجد تمرد سلبي للفرد أم تمرد إيجابي؟ وهل يسهم سلوك التمرد النفسي في التأثير على سلوك الفرد العدواني؟ أي هل التمرد متوقف على السلوك العدواني فقط؟ أي عدائية كل ما يواجه ويعيق حريته، أو هل من الممكن أن يتجه التمرد إلى شكل آخر، وصور أخرى ؟! سوف نتطرق لهذه الأسئلة في محاولة للوقوف على ماهية التمرد، ومظاهر التمرد على شخصية الفرد، و مدى عواقبه، وهل من الممكن أن يكون التمرد هروبا للنفس داخليا؛ أي مُنحصر داخل شخصية الفرد نفسه الذي آثر أن يبني لنفسه عالما من الخيال متمردًا ورافضًا لواقعه، وإذا كانت ليست لديه القدرة على المواجهة، فماذا يريد غير ألا يُسيطر أحد على حياته وأن يعيش كما يتخيّر، وإذا تحقق ذلك، فلا داعي للثورة والسلوك العداوني!

استعنت في بحثي بروايتي للكاتب إحسان عبد القدوس (أنا حُرة، والطريق االمسدود) لنرى فيها وجه اختلاف التمرد وأثره على كل من بطلة الرواية. وفي الروايتين يستخدم الكاتب إحسان عبد القدوس الراوي العليم بكل شئ، وهو كلي العلم بما في نفوس الشخصيات، مما يساعدنا في دراسة الشخصية ومظاهرها النفسية الانفعالية.

في الفصل الأول من الكتاب الذي يعنونه ب"الرواية وعلم النفس"، يتحدث (بويون) عن العلاقات القوية التي تربط الطرفين، فإذا كان العالم النفساني يعرفنا بأنفسنا، فإن الروائي يعرفنا بالآخرين. وبالنظر لخلاصات بويون السيكولوجيّة من حيث معرفة الشخصيات ودواخلهم النفسية عبر العمل الروائي، نجد أن روايتيّ (أنا حرة ، والطريق المسدود) الراوي فيهما عليم بكل شئ، نشعر في بعض الأحيان إنه المؤلف الحقيقي

[1] ينظر فريد سعيدي، وعبد الحفيظ قويسي، التمرد النفسي لدى عينة من المراهقين المتمدرسين في ضوء بعض المتغيرات المختارة،دراسة ميدانية بثانوية عبد المجيد علاهم بالمسيلة، مذكرةمكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس، ص٣٠، من أسباب التمرد النفسي.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وليس المؤلف الضمني، وتكون هذه الرؤية السردية من الخلف أي أن تكون معرفة الراوي أكثر من معرفة الشخصيات. وفي الرؤية من الخلف يبدو (الراوي) أكبر من الشخصية الروائية)، فهو يروي لنا الأحداث بعد وقوعها بزمن بكل ما فيه من تفاصيل، أي أن الراوي عالما بكل شئ وعلى دراية تامة وشاملة بكل ما تقوم به الشخصيات، ويكون على علم بما تحمله الشخصيات من مشاعر وأحاسيس ورغبات حتى وإن كانت الشخصية ذاتها لا تعلم ما بها وماذا تريد، وهذه الصيغة هي التي يستعملها السرد الكلاسيكي في أغلب الأحيان، حيث يكون السارد أكثر معرفة من الشخصية الروائية، وهو لا يشغلنا بأن يشرح لنا كيف اكتسب هذه المعرفة، إنه يرى ما يجري خلف الجدران كما ذهن الشخصيات سواء كان البطل أو الشخصيات الثانوية، فليس لشخصياته أسرار عليه، وقد يتجلى تفوّق الراوي في معرفته بالرغبات السرية لإحدى شخصيات الرواية التي قد تكون غير واعية برغباتها؛ لذلك نشعر في بعض الأحيان أنه ليس الراوي وإنما المبدع الحقيقي للعمل الأدبي لأنه عليم بكل شيٍ، وفي ذات الوقت هو المجهول الغائب عن العمل الأدبي ذاته[٢]. ونمثل لمثل هذه الرؤية السردية من روايات إحسان عبد القدوس في روايتي (الطريق المسدود، أنا حُرة).

ولدراسة الشخصية في العمل الروائي ينظر إليها من خلال أبعاد ثلاثة ::« البعد الجسمي والبعد النفسي والبعد الاجتماعي، ولعل تقسيمًا كهذا لمكونات الشخصية الروائية يواجه بعض النقد، ولاسيما أن العناية توجهت إلى بنية الشخصية من الداخل، والاهتمام بعالمها الداخلي وبنوازعها وأفكارها لتتحول إلى شخصية محسوسة من خلال ردود أفعالها ومواقفها، ومثل هذا البناء الداخلي الذي يمكن أن نلمسه من خلال السلوك الفعلي للشخصية في بنية النص الرواي.[٣]

و تُسهم هذه الأبعاد الجسمية والنفسية والاجتماعية في رسم صورة شبه ناضجة عن الشخصية الروائية وما يهمنا من هذه الأبعاد: "البعد النَّفسي" لأننا بصدد دراسة الشخصية من منظور نفسي "كون هذا البعد يتعلق "بالمزاج و الميول، وما يعتري الإنسان من مركبات نقص تؤثر تأثيرا كبيرًا على كيانه الاجتماعي أو الجسماني، فما من

---

[٢] ينظر، تزفيتان تودوروف، طرائق تحليل السرد الأدبي، مقولات السرد الأدبي، ت: الحسين سحبان، فؤاد صفا، دراسات، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط١، الرباط ١٩٩٢، سلسلة ملفات مترجمة عن عدد من النقاد(رولان بارات، تزفيطان تودوروف، جيرار جنيت، جاب لينتفلت، ولغ غانغ كايزير، آن بانفيلد، أكبرطور إيكو، ميشيل رايمون، أ.ج غريماس، فلاديمير كريزنسكي) ١٩٩٢/١، مرجع سابق، ص٥٨

[٣] عبد القاضي المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، ت: أحمد إبراهيم الهواري، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٩، ص٦٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

سلوك أو فعل يأتيه الإنسان إلا وله دوافعه وبواعثه"[٤]. ولقد أدرك الكاتب إحسان عبد القدوس - ومثله من الكُتاب - أهمية هذه الطريقة التي ابتكرها سيجموند فرويد وهي "التداعي الحر" في تحديد حركة العمليات الذهنية لشخصياتهم، فرأوا أن هناك ثلاثة عوامل تنظم التداعي وهي أولًا: الذاكرة التي هي أساسه، وثانيا الحواس التي تقودها، وثالثا الخيال الذي يحدد طواعيته[٥].

إن منهج التداعي الحر هو طريقة من طرق الانبعاث العفوي للذكريات، ووفقًا لرأي برداين "التداعي للأفكار هو الأداة العادية على الأقل إن لم تكن الأداة اللازمة للذاكرة، فالماضي بجميع أشكاله يمكنه أن يعود للبروز وسيتذكر عن طريق وساطة، والعلاقة ما بين الماضي ووسيطه هي ما نسميه تداعي الأفكار"، ويتجلى في التداعي تأثير فكرة سارتر الفلسفية من عزلة الإنسان الحادة عن غيره من البشر وشعوره بالقلق والخوف والغثيان لوجود أشخاص آخرين[٦]. فنجد في الروايتين الفتاتين مراهقتين لكل منهما غرفتها الخاصة المنعزلة فيها " أمينة، فايزة" والكاتب إحسان في رواياته النفسية نجده يعيش اللحظات النفسية أو المواقف النفسية، ويتمثله بكل كيانه وجوارحه، ثم يكتب إحساسه وشعوره بهذه المواقف وتلك اللحظات في كتابات بسيطة ومفهومة وتدل على اللحظة النفسية التي يعيشها وهو ما قاله إحسان ذاته في إحدى برامجه، مشيرا إلى أن الأديب ينساق مع خياله وانفعاله ويصوّر الشخصيات والأبطال بالشكل الذي يراه وليس في الواقع، ومن الممكن أن يُقلب في الحقائق كما يريد.

- **مفاهيم أولية:**

أ. التمرد:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "مرد" وهو العاتي الشديد، وأصله من مَرَدة الجن والشياطين، وتَمَرَّدَ :أَقْبَلَ وعَتا ، والتمرد يعني الخروج على الشيء وقال ابن الأعرابي: المَرْدُ التَّطَاوُلُ بالكِبْر وَالْمَعَاصِي، [٧]- وجاء في كتاب العين لصاحبه خليل ابن احمد الفراهيدي أن مصطلح "مرد" : يمرد – مردا ، ومرد على الشيء أي

[٤] -شكري عبد الوهاب، النص المسرحي- دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية-، المكتب العربي الحديث الإسكندرية،١٩٩٧ ،ص٥٦

[٥] روبرت همفري،تيار الوعي في الرواية الحديثة، ص٨٤.

[٦] أحلام حادين جماليات اللغة في القصة القصيرة القصيرة، ص٣٧،٥٩

[٧] ينظر، فايز خضر محمد بشير ، التمرد وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية ، لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة ، مكملة لنيل الماجستير، ٢٠١٢م ، كلية التربية قسم علم النفس، جامعة الازهر- فلسطين،ص٣٦ ، ابن منظور (ب.ت)، معجم لسان العرب، المجلد السادس، دار المعارف: القاهرة، ص٤١٧٢.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عنا وطغى "[٨]. واستشهدوا بالآية الكريمة، قال الله تعالى: "أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ" (١٠١) سورة التوبة.

تشير مفردة التمرد في المعاجم اللغوية - كما ورد- إلى صورة من صور العصيان، و"تمرد عليه" أي؛ عصاه وعانده، متمسكًا بموقفه مجاوزًا الحد. من ناحية أخرى؛ ويعرف التمرد في علم الاجتماع بأنه الخروج على أعراف المجتمع والنظام العام.

وهناك العديد من التعريفات التي بينت مفهوم التمرد من وجهات نظر مختلفة، غير أنها تتفق في معظمها على أنه شكل من أشكال الرفض المعلن تجاه السلطة المتمثلة في الأسرة والنظام التعليمي والمجتمع، وينطوي مفهوم التمرد - كما جاء في الموسوعة العربية- على معنى تحدي الأوضاع السائدة ورفضها[٩]، فمصطلح التمرد نال اهتماما واسعا لدى العديد من الفلاسفة والنقاد وتناولوا تعريفه على النحو التالي:-

- عرّف **بريم Brehm** (١٩٦٦) التمرد بأنه محاولة الفرد لاستعادة أو استرجاع الحرية المزالة أو المهددة بالإزالة عن طريق القيام بالسلوك المحظور أو الممنوع بصورة مباشرة، أو تشجيع الآخرين للقيام بالسلوك المحظور الممنوع، والقيام بسلوك مشابه له، أو رؤية الآخرين يقومون به، أو تحريضهم على القيام به بصورة غير مباشرة[١٠].
- وعرّفه **راشد السهل** (٢٠٠١) بأنه إحساس الفرد بضرورة الثورة والتغيير، ورفض واقعه المألوف[١١].
- وعرفه **داود Dowd** (١٩٩١) بأنه السلوك الذي يتضمن الثورة والغضب والعصيان، وعدم الطاعة لما يطلب ، وردة فعل عنيفة تجاه الأفراد والأشياء المحيطة به، مما يسبب إلحاق الأذى بنفسه أو بالآخرين[١٢].

---

[٨] الخليل بن احمد الفراهيدي: " معجم العين " ، تحقيقي الدكتور عبد الحميد هندواي ، المجلد ٤ ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٣١

[٩] المرجع السابق،ص ٣٥، توفيق داود، ب:ت لموسوعة العربية، المجلد السادس، دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ص٨٦١.

[١٠] المرجع السابق، ص٣٦ ،خلود عبد الأحد (٢٠٠٥ ،(أثر برنامج تربوي في تخفيف التمرد النفسي لدى المراهقين، رسالة ماجستير، جامعة الموصل: العراق، ص١٤.

[١١] المرجع السابق، ص٣٧ ، راشد السهل، مصري عبد الحميد حنورة (٢٠٠١ ،(مستوى الإحساس بالصدمة وعلاقته بالقيم الشخصية والاغتراب والاضطرابات النفسية عند الشباب، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد (٢٩ ،(عدد (٢ ،(جامعة الكويت، ص١٢

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- وعرّف **دونيل Donnel وآخرون** التمرد بأنه مجموعة من السلوكيات التي يمارسها الفرد عندما تقيد حريته في التفكير والتصرف، وذلك لمحاولة استعادة حريته المفقودة[١٣].
- وعرّفه **توماس** Thomas بأنه قوة فكرية انفعالية تنتج عندما تتناقص حرية الفرد الشخصية، أو تهدد بالإلغاء، وهذه الحالة الانفعالية تبحث عن استعادة السلوكيات المهددة محدثة سلوكًا تعويضيًا أو تصحيحيًا يمكن التعبير عنه إما سلوكيًا أو إدراكيًا أو عاطفيًا من خلال ممارسة بعض التصرفات المحظورة اجتماعيًا[١٤].
- وعرفته **ياسرة أبو هدروس** بأنه مجموعة من السلوكيات المعبرة عن رفض المراهق لمحاولات تقييد حريته الفكرية والسلوكية التي تقع ضمن ثلاثة أبعاد هي: حرية الاختيار للسلوك، وتقبل النصائح، وردود الأفعال النفسية التكيفية[١٥].

إذن التمرد رفض لكل ما يحيط بالفرد من إعاقة حريته وتقيده، ويبدأ التمرد لدى الذات النفسية من شعور السخط وعدم الموافقة على موقف ما، ويتجلى في رفض الخضوع لأوامر من حوله. ونجد أن **السبب والهدف من التمرد** هو **التحرر** والمقاومة والثورة على سلطة ما يقاومه، وما يعيق ما بداخله، أيًا كانت هذه السلطة، وأكثر ما يُظهر التمرد، هو التقيد بحياة لم يجد نفسه فيها وأراد بالتمرد تحرر ذاته، كما أن من أكثر ما يسبب التمرد لدى الفرد هو الحرمان الأسري وسوء المعاملة من قبل الأسرة، أساليب التنشئة الاجتماعية السيئة. وسنجد أن هذين العنصرين من أكثر ما يُظهر العدوانية، وهما مظهران رئيسيان من أسباب التمرد في الروايتين.

والمرأة المتمردة امرأة قوية غالبا لا تخضع إلا لذاتها ، فالمرأة ليست متمردة من اللاشئ، ولكن بداخلها التحرر، فلا تريد القيود، ولكنها تريد أن تسير مع نمط الحياة

---

[١٢] فايز خضر محمد بشير ، التمرد وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية ، لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة ، مكملة لنيل الماجستير، ٢٠١٢م ، كلية التربية قسم علم النفس، جامعة الازهر- فلسطين،ص ٣٧، خولة المطارنة، ٢٠٠٠، العلاقة بين الضغوط النفسية والتمرد لدى المراهقين واثر كل من صفهم وجنسهم والمستوى التعليمي لوالديهم في ذلك، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة :الأردن، ص١٨

[١٣] المرجع السابق، ص٣٧ Donnell, A., Tomas, A., Buboltz, J. Walter, C., (2001), Psychological Reactance: factor structure internal consistency of the questionnaire for the measurement of psychological reactance, Journal of Social Psychology. 141 (5),679-687,

[14] Thomas et al, 2001:2-12

[١٥] المرجع السابق، ص٣٨ ،ياسرة أبو هدروس، ٢٠١٠، ،) تقنين مقياس التمرد النفسي لدى المراهقين على البيئة الفلسطينية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد١١ ،العدد٣ ،البحرين، ص٨٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المعتادة، فيخلق لديها نزعة التمرد على النمط المعتاد، بغض النظر عن نوع النمط الذي تعيشه. فهي لم تكن مثل القطيع الذي يسير، ولكنها تفكر لتخرج من هذا الحشد لتكون ذاتها، فهي تلك التى لا تختبىء بداخلها جارية لتنتظر سي السيد، ولا تعتمد على شخص إلا ذاتها، ولا تقبل بالسلبيات التي تسئ لها وللمجتمع، فهي امرأة مسئولة عن نفسها ، تريد الوقوف لكل ما يهمشها، لتقول أنا موجودة، أنا أفكر، أنا أريد أن أتبع حياتي بطريقتي حتى وإن كانت عكس العادات والتقاليد التي يفرضها المجتمع عليها، فالظروف التي وُضعت فيها جعلتها تواجهها بمفردها، فتنهزم أو تحاول النصر بمفردها، فالمرأة المتمردة هي مرأة متحررة، لا تريد التمرد على العادات والتقاليد لتهين نفسها بالإساءة، بل العكس فالتمرد نابع عن فكرة تحرر الذات مما يعوقها، لتعطي ذاتها ما يستحقها من الحياة من وجهة نظرها، وفي أغلب الأحيان يكون وجهة النظر سليمة، ولكن لا تعرف النفس كيف تقودها ذاتها لتحقيق هذا النصر الذي بشأنه تكون النفس مضطربة وحائرة وتائهة نتيجة الصراعات التي تمر بها من الرفض والسخط على المجتمع. فإذا لم يُمَكِّن المجتمع سلطته على الفرد أيًا كانت هذه السلطة ووجدوا مَنْ يتمرد عليها، فسرعان ما يتجه المجتمع للنبذ على هذا الفرد، فلا يُقابل المجتمع الشخص المتمرد بسعة الرحب، بل يظهر دائمًا بالنبذ الاجتماعي الذي بدوره يحاول هزيمة الشخص المتمرد، وذبذبة عقيدته. وإذا لم يكن الشخص قويّ الإرادة فسرعان ما يقع، ويصبح تحت نصرة المجتمع عليه، بل وأسوأ مما كان عليه في السابق.

اتجاهات التمرد النفسي:

يظهر اتجاه التمرد في حياة الفرد بالشعور بالقوة والتحدي، وضرورة التغيير يتجه باتجاهين متناقضين، عن المجتمع الذي نشأ فيه.

شكل رقم (١) يوضح اتجاهات التمرد النفسي[١٦]

اتجاه سلبي: وهو يكون ضارًا وهدامًا ونجد دائمًا ما يكون التمرد السلبي في حالة تخارج من النفس البشرية تقابل السلطة بكل عدائية، وتبدأ برفض أوامرهم وتفاليدهم، وعدم التقيد بها عن تحد وإصرار[١٦].

[١٦] ينظر ، فريد سعيدي، عبد الحفيظ قويسي، التمرد النفسي لدى عينة من المراهقين المتمدرسين في ضوء بعض المتغيرات المختارة، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس، ٢٠٢٠/٢٠٢١م،ص ٣٤

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

اتجاه إيجابي: وترى الباحثة أن هذا الاتجاه، غالبا ما يكون في حالة تداخل مع النفس البشرية يقوّمِها باستمرار، لا يحتاج لرقيب لأن ذاته هي الرقيب، لاينساق إلا لمبادئه وقيوده التي تفرضها نفسه، وإن كان يهتز ببعض من حوله لكن سرعان ما يفوق، ليثبت نفسه ويتحرر.

– إن الشخص أثناء تمرده لا يكون على وعي بالتمرد النفسي، وإذا وعى الفرد بذلك فسيشعر بزيادة القدرة على التحكم الذاتي في سلوكه، وسوف يشعر بأنه قادر على فعل ما يريد وليس مجبرا على فعل ما لا يرغب فيه، وهو الذي يتحكم بسلوكه، ولذا فإذا كان حجم التمرد كبيرا فستظهر مشاعر عدائية، ولذلك يكون التمرد حالة من حالات الدافعية تجاه نحو الأفعال الاجتماعية للآخرين. وينكر الفرد أنه غاضبًا وينكر أن لديه الدافع لاسترداد حريته[١٧].

– والميول التمردية قد تكون مفيدة في مساعدة الفرد على النمو في اتجاه الاستقلال، ووضع الفرضيات لشخصيته لاتجاها نحو التحرر السليم، لاعتقاد الشخصية أنها مِحط الأنظار، والكل يريد أن يرى كيف ستصبح الشخصية بعد كل هذا التمرد، وكأن المجتمع ينتظر سقوط الشخصية التي تريد أن تتحرر[١٨].

مظاهر التمرد وسمات الشخصية المتمردة:

ونجد أن من مظاهر التمرد النفسي على الشخصية الثورة ضد الأسرة والمدرسة، والسلطة عموما. التعلق الزائد بروايات المغامرات. الانحرافات الجنسية. عدم القدرة على إقامة علاقات جيدة مع الزملاء والمدرسين. العناد بقصد الانتقام. وممكن أن يتخذ التمرد شكلًا آخر كالاغتراب، فعندما يغترب الفرد فإنه يواجه ثلاثة اختيارات أمامه:

١- **الانسحاب من الواقع**، حيث يفضل عدم المواجهة أواللامبالاة أو اليأس.
٢- **الخضوع للنظام القائم**، حيث ينشأ عنه قبول ظاهري ورفض ضمني.
٣- **التمرد الفعلي والمواجهة** من أجل تغيير الواقع وتجاوز حالة الاغتراب[١٩]

ونجد أيضًا أن من آثار التمرد القلق العاطفي والذي يؤدي بدوره للاغتراب والاكتئاب، والرغبة والاندفاعية والافتقار إلى القدرة على ضبط الذات والسيطرة على النفس.[٢٠]

---

[١٧] ينظر، المرجع السابق، ص٣٥

[١٨] ينظر المرجع السابق، ص٣٦ ، نبار، رقية، مستوى التمرد لدى طلبة الجامعة، مجلة الباحث في العلوم والإنسانية والاجتماعية ٢٠١٨، ص٩٢٥.

[١٩] ينظر ناجية مصطفى، ٢٠٠١، مدى فاعلية برنامج إرشادي في تخفيف حدة سلوك التمرد لدى بعض طالبات المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ص٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ونستنتج من الروايتين أن مظاهر التمرد لدى الفتاتين واحد، العزلة، والوحدة، التمسك بالتعليم وكأنه النجاة الذي يحررهم من هذه القيود بل ودخول الجامعة أو المعهد بالرغم أن الأسرتين لم تعتد على تعليم الفتاة في هذا السن، وعدم قدرتهما على إقامة علاقات جيدة مع الزملاء، غير أن أمينة كانت تميل في بعض الأحيان إلى مصاحبة الزملاء الذين لا يراعون الضوابط الاجتماعية في سلوكهم. وكان من أسباب التمرد عدم الشعور بالدفء والأمان تجاه أسرتهما، فالبطلة أمينة في رواية "أنا حرة" كان غياب كيان الأسرة بأكملها وغياب الأم والأب بالرغم من وجود الأب، ولكن وجوده كان شكليًا، لم يكن له قرار في حياة ابنته، بل التي تولت تربيتها هي عمتها وزوج عمتها، أما فايزة فكان االسبب الرئيسي لها هو غياب الأب الذي توفي وتوفت معه أمانيها وأحلامها وأمانها لتقابل رجلا يكبرها في العمر فكانت تشعر أنه ملاكها ، لكن سرعان ما أفاقها من حلمها على عذاب.

ب. النبذ الاجتماعي:

وغالبا ما نجد أن مشكلة التمرد النفسي منتشرة لدى الفرد من أكثر المشكلات والسلوكيات، ودائمًا ما تظهر في مرحلة المراهقة، ومن الممكن أن تظهر هذه الظاهرة نتيجة للمناخ الوجداني غير السوي في الأسرة، أو الانحرافات في الأسرة كما حدث في رواية الطريق المسدود، ويتوافر الانحراف إذا كان أحد أفراد الأسرة له عادات خلقية أو ممارسات لا يرضي عنها المجتمع، وينعكس ذلك على أفراد الأسرة مثلما انعكس على فايزة التي كانت دائمًا تهاب نظرة المجتمع لها من ممارسات أسرتها بما تفعله وكأنها هي من تدفع ثمن أفعال أسرتها بين نظرات الناس لها، وإذا دمغت الأسرة بسمعة سيئة أو عرف عنها بعض العادات أو الممارسات غير الطيبة فإن الأسر الأخرى تبتعد عنها، مما يجعل أفرادها يشعرون بالعزلة ولا شك أن شعور فايزة بالعزلة كان يعمل على اهتزاز ثقتها.

وإذا نظرنا إلى سطوة المجتمع سنجد أنه يوجد اختلاف وتقبل فكرة التمرد تجاه الرجل، على غرار تمرد الأنثى، فتمرد الأنثى يختلف تماما عن تمرد الرجل و إن تشابه فى بعض الأهداف.

تحليل الروايتين: (الطريق المسدود، وأنا حُرة)

- **الفكرة المشتركة:**

---

[٢٠] ينظر، فريد سعيدي، عبد الحفيظ قويسي، التمرد النفسي لدى عينة من المراهقين المتمدرسين في ضوء بعض المتغيرات المختارة، مرجع سابق، ص٣٣، ٣٦، زهران ١٩٩٩م ، رنا عبيس جبار، التمرد النفسي لدى طلبة الإعدادية شهادة البكالوريس | جامعة القادسية(qu.edu.iq) ، ٢٠١٧م.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الفكرة المشتركة في الروايتين – كما أسبقنا- هي **التمرد**، ولكن على حدى ضدي، فالبطلة فايزة **تريد التحرر** من المجتمع الذي نشأت فيه، وكذلك البطلة أمينة **تريد التحرر** من المجتمع الذي نشأت فيه، ولكن المجتمع الذي نشأت فيه الفتاتان مختلف أشد الاختلاف، مجتمع فايزة مجتمع يتسم بالخداع والنفاق، وكان هذا على خلاف مجتمع أمينة الذي كان يتسم بالعادات والقيم والتقاليد.

ونلحظ أن ميول البطلة واحد في الروايتين ولكن بالضدية، فكانت فايزة متمردة تمردا ساخطا صامتا على واقعها الملئ بالخطيئة، معترضة اعتراضا صامتا(سلبيا)؛ أما أمينة فكانت متمردة على واقعها الملئ بالخضوع، تبحث عن ذاتها ببحثها عن حريتها، معترضة اعتراضا ثوريا تَمَرُديّا، مستنكرة طبائع الأمور الزوجية والعرف والعادات المجتمعية، بالرغم من خضوعها بالأخير للعادات نفسها، التي رفضتها تحت نطاق الزواج ولكن تقبلتها من بعد مما يدل على ازدواج المعيارية لديها.

وبالرغم من أن رؤية فايزة بتمردها الصامت، أوهم البعض أنه تمرد يتسم بالسلبية، ولكن الحقيقة عكس ذلك، هذا التمرد كان تمردا ايجابيا، وإن أخفقت ثقتها في بعض الأحيان، بسبب النبذ المجتمعي، فنتابعها دائمًا أبية، لا تريد الاستسلام لهذا المجتمع بل أرادت فقط **التحرر** من قيود الخطيئة التي تراها، والدليل على أن تمردها كان إيجابيا، أنه لم يقابل هذا التمرد النفسي لديها بالعدوانية أوالانفعال، على عكس رؤية ـ أمينة المتمردة على العادات والتقاليد والخضوع لفكرة الحياة الزوجية التي أخضعت لها في نهاية الرواية ولكنها تحت بند يقبله أي مجتمع أو كما هو منتشر في هذا العصر في الدول الأوروبية، وهو بند المعاشرة.

- **التصدير:**

ولا بد أن يلفتنا الصدير المهم الذي وضعه إحسان عبد القدوس في مطلع الروايتين، إذ يقول: "إن الخطيئة لا تولد معنا، ولكن المجتمع يدفعنا إليها..." [٢١].

هكذا أتت الكلمات التي ابتدأ بها الكاتب إهداءه لرواية الطريق المسدود، وكأن الإنسان ليس مخيرا لحياته، وأن المجتمع سيدفعنا لمَا يُريد وكأنه أمر محتوم!، فهل حقًا المجتمع يُشكل حياة الإنسان، ويقوده إلى ما يُريد، أم الإنسان يقاوم مجتمعه ليصبح ما يُريد!

ويقول أيضا: "ليس هناك شئ يسمى الحرية، وأكثرنا حرية هو عبد للمبادئ التي يؤمن بها، وللغرض الذي يسعى إليه.. إننا نطالب بالحرية لنضعها في خدمة أغراضنا.. وقبل أن تطالب بحريتك اسأل نفسك: لأي غرض ستهبها؟!.."[٢٢]

[٢١] إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود، مقدمة الكتاب، ص١.
[٢٢] إحسان عبد القدوس، رواية أنا حرة، مقدمة الكتاب، ص١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بدأ الكاتب في مقدمة " أنا حرة" بهذا المضمون عن الحرية، وكأن الذي يريد الحرية سيظل عبدًا لفكرة الحرية مهما نال حريته، وبالتالي لا يوجد حرية!

- **الراوي في الروايتين:-**

الراوي المستخدم في الروايتين هو الراوي العليم بكل شيء بشخصيات الرواية، ومن بداية روايتي أنا حُرة والطريق المسدود، نجد أن الكاتب لجأ إلى أسلوب الراوي العليم بكل شيء، ولا يوجد مسافة كبيرة بين الراوي العليم بكل شيء والكاتب حيث إنك ستشعر في بعض الأحيان أن الكاتب والراوي واحد، ويظهر الراوي لنا التمرد في أمينة من خلال مشكلات نفسية وسيكولوجية، تعود إلى التغيرات الفسيولوجية، والنفسية، والانفعالية التي أثرت في سلوكها حيث أثرت تربيتها على شخصيتها، وبدأت الشخصية تختلف من حين لآخر حتى أدّى ذلك إلى تمرّدها على المجتمع الذي نشأت فيه، ونتيجة لذلك أصبحت شخصيتها عدوانية تصوب عداوتها للعادات والقيم التي تواجهها من هذا المجتمع.

وعندما نقرأ الروايتين سنشعر أن الكاتب هو الروائي الذي يقص علينا الرواية؛ لأنه يعلم بالأحداث التي مرت بها البطلة ، بل المكنونات الداخلية التي تشعر بها البطلة، بل وجميع شخصيات الرواية، فهو يعلم ويقص من بداية الرواية حتى نهايتها، فالرواية لم تكن أحداثا تعاش لحظة بلحظتها، والروائي لم يكن شخص من الشخصيات الروائية ولكنه غائب وعليم بكل شيء ، ونرى كأنه الكاتب المتقمص في صورة الروائي.

ويصف لنا الراوي العليم أمينة، **فتاة في الخامسة عشرة من عمرها سمراء ملتهبة الوجنتين ملتهبة الشفافتين احتارت معها عينيها لا تدريان أين تستقران واحتار معها قوامها الناضج على أي الأوضاع يرتكز**[٢٣].

وكذلك نجد أن الراوي هنا يحلل تحليلا دقيقا لشخصية البطلة وكأنها هي التي تتحدث وتصف نفسها،، فهنا نجد الراوي العليم بكل شيء ويتضح لنا هذا من خلال الرواية:

دنياها كلها فوق هذا الفراش.. خيالها فوق الوسادة، وآلامها تحت اللحاف.. دنيا لا يشاركها فيها أحد.. فلا أحد يشاركها خيالها، ولا أحد يحس بآلامها[٢٤]**..**

إنها تعود من المدرسة، فتلقى تحية عابرة لمن يصادفها، ثم تدخل حجرتها وتغلق بابها بالمفتاح، وتلقى بشبابها فوق الفراش.. أو تتناول طعامها، وتأكل معه تهكمات

---

[٢٣] المصدر السابق، ص١٥

[٢٤] إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود، ص٩

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أختيها وتأنيب أمها.. ثم تقوم إلى حجرتها وتغلق بابها بالمفتاح، وتلقى بنفسها فوق الفراش[٢٥]**..**

لم يستطع شيء في حياتها أن يبعدها عن فراشها.. ولم يستطع أحد ممن حولها أن يمنعها من أن تغلق باب حجرتها بالمفتاح.

ونجد أن الكاتب هنا، كأنه منحاز لفايزة، وكأنه يلقي اللوم متحاملا على الأستاذ الجامعي الدكتور رشاد، ويتضح لنا وهو يروي لنا ثم: **"أنه أستاذها.. والمفروض فيه أنه رب فاضل.. هل أساتذة الجامعة أيضًا مجرد رجال.. ككل الرجال؟"**[٢٦]

ونجد أن الكاتب أو(الراوي الذي هو من صُنعه)، يصعب عليه أمر الفتاة، يُريد أن ينتشلها من هذا المجتمع، ويحتضنها بإحساسه لتشعر بالأمان الذي افتقدته بعد وفاة أبيها، ويكون لها الداعم، لنجد مع أول وقوع لفايزة وتدميرها نفسيا، أن الشيطان الذي يريد جسدها وأن تكون ضحيته، تحولت فيه صفة ملائكية. وإذا نظرنا للمؤلف الحقيقي، أو الراوي (المؤلف الضمني)، سنجد أن الكاتب (المؤلف الحقيقي) ينصح الفتيات عبر الراوي، ويقوم بدور الأب خوفًا عليهم ، لتفيق كل قارئة، وتحاول ألا تستدرج من قِبل هذه النوعية ، نلاحظ ذلك مع الكاتب منير حلمي، ذلك الناصح للبطلة قبل مشيها في طريق الخطيئة لتفيق من هذا الطريق الذي لا يشبهها، يقول الكاتب منير حلمي في محاولة استيقاظ صوت الضمير لديه وفايزة بعد اليأس والإحباط الذي تسلل لنفسها حيث نظر إليها في حنان كأنها ابنته وقال:

" ما تعمليش حاجة ضد مبادئك.. ما تعمليش حاجة يمكن تندمي عليها.. أنا أكبر منك بكتير يا فايزة، وعارف الدنيا أكتر منك.. وماتفتكريش إني سافل.. أنا سافل بس مع السفلة.. إنما أنتي حاجة تانية.. أنتي بنت رقيقة وطاهرة وكريمة.. خليكي كده على طول.. وسامحيني إذا كنت ظلمتك في الأول.. كان لازم تفوت خمس سنين علشان أعرف اني ظلمتك وإنك مش زي بقية البنات اللي باعرفهم.. وسامحي الناسر كلهم اللي ظلموكي زي ماظلمتك.. ظلموكي لأنه ما كانوش يعرفوكي.. يوم ما يعرفوكي حيعتذرو لك زي ما بعتذر لك.. لأن يوم ما يعرفوا إنك أخطأت مش حيرحمكي، ولا أنا حارحمك.. حا تلاقيني رجعت بقيت سافل معاكي وأسفل كمان..[٢٧]

والكاتب والراوي أيضًا من صنعه، نجده كأنه يريد أن يقول أن لكل شئ ثمن، وثمن الحرية غالي، فإذا كان الفرد متمردا للتحرر لهذه الدرجة، فعليه أن يقبل بأقصى درجات العبودية، فهذه هي النهاية، كما تحمل البطلة نتيجة اختيارها وقرارها، بالأخير هذا ما تسعى إليه، وهو حريتها في كيفية العيش في حياتها، مهما كانت صحيحة أم خاطئة

---

[٢٥] المصدر السابق،ص١١

[٢٦] المصدر السابق، ص١١١.

[٢٧] إحسان عبد القدوس، رواية "الطريق المسدود" ص٣٣٨

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يتقبلها المجتمع، أم لم يقبلها، ومن ذلك صمم الكاتب على أن تبقى" أنا حُرة" حرة في اختيار نهايتها!! **إني لا أستطيع أن أشوع الحقيقة.. وهذه القصص تصور الحقيقة.. حقيقة الإنسان..**

وكلما ارتقى الإنسان استطاع أن يواجه حقيقة نفسه.. وكلما ظل الإنسان متأخرا ظل يهرب من الحقيقة .. والحقيقة تلاحقه إلى أن تنتصر عليه !..

افسحوا الطريق.. إن الحقيقة تتقدم!.[٢٨]

- **البعد التكويني النفسي لدى الشخصية في الروايتين:**

السبب الرئيسي في شخصية الفرد هو النشأة، والأنثي في الروايتين تعيش منذ نشأتها في تفكك أسري، في غياب الأب إن كان متوفيا، أو غياب الأم، أو غيابهما عن الفتاة التي بدت إلى حد ما حبيسة غرفتها منغلقة على أفكارها ونفسيتها، تعاني في مكان واحد في غرفتها لا يعلم عنها أحد إلا سريرها ووسادتها التي تبكي عليها، تسترجع ذكرياتها و تفكر ماذا سوف تفعل بعد؟، فلا تشارك أحد هذه الأفكار إلا وسادتها التي تشعر بهذه الفتيات، والسبب الأكثر هو غياب الأم، التي تكون مصدرا للحنية والصداقة وحتى وإن كانت موجودة في مثل رواية الطريق المسدود مع فايزة، ولكننا سنجد الأم بعيدة كل البعد عنها بالفكر، حيث إن تفكير الأم اتجه شتى الاختلاف عن المبادئ والفضيلة التي اعتادت عليها المجتمع والتي تربت عليها من قبل أبيها، فظلت فايزة حبيسة هذه التربية والأفكار التي اكتسبتها من أبيها وكأن أباها لم يمت بعد، بل كان يعيش في فايزة وأفكارها ونفسيتها حتى ذهب عقل فايزة عن البديل لأبيها الذي يكتب عن القيم في وجه مُستعار أمام المجتمع كأنه ملاك حتى يُرى الانحلال يظهر بوجهه الحقيقي الشيطاني الذي لا يعرف عن القيم شيئا، ذهبت، إليه بعقلها، وإن كانت وما زالت في غرفتها تعيش مع قلمه وكلماته وكتاباته، حتى إن التقت به، ذهبت له بكل جوارحها وقلبها، حتى رأته على حقيقته، ولم تستطع أن تهبه جسدها، فهي وإن أحبته ولكنها متحفظة، لقد جعلها في صدمة، مما جعلها تبحث عن الانتقال للريف كحل بديل لحياة تقوم على الإخفاق المتوالي.

ويظهر أن المراحل النفسية التي تمر بها الشخصية في الروايتين تلازم وقت النوم أو ما قبل النوم أو أثناء النوم. كانت أمينة كذلك تصف منزل بيت عمها الذي كان بالنسبة لها سجن والسجان هو زوج العمة الذي يقيد حريتها وبمساعدة عمتها، وهي تحاول الخروج منه باعتقادها عند الخروج منه ستحصل على حريتها ولكن دون الذهاب لمنزل الزوجية لم تكن تسعى للزواج ظنًا منها أن ما يمارسه زوج العمة من قيود ستحصل بالفعل مع زوجها وبالتالي لم تحصل على حريتها فقضيتها هي الحرية، حريتها مع

[٢٨] إحسان عبد القدوس، رواية " أنا حُرة: ، ص١١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

عنادها في كسر(قمع) التقاليد التي تعيش فيها داخل وحي الظاهر، هكذا انتقلت أمينة إلى بيت أبيها في " شارع البورصة القديمة" الذي يصل بين شارعي سليمان باشا وقصر النيل.. شقة صغيرة في إحدى العمارات الكبيرة القديمة، والشقة مكونة من حجرتين حجرة لوالدها وحجرة لاستقبال الضيوف لتصبح حجرة استقبال الضيوف حجرة أمينة انتقلت مع شعور مختلف وأحاسيس جديدة بانتصارها على من حولها وإقناع أبيها بدخول الجامعة، وخيل إليها في هذا الوقت أن السعادة كلها قد تجمعت بين يديها فهي بذلك تسعى لحريتها، ولعل تعاستها مرتبطة بالمكان الذي عاشت فيه، وعندما ذهبت وانتقلت إلى بيت أبيها هدأت في صدرها هذه الأحاسيس العنيفة التي طالما عاصرتها منذ ولادتها، ومنذ انتقالها من بيت عمها لبيت أبيها فهي كانت سعيدة.

" وكانت سعيدة وهي تخرج من البيت لتجد نفسها بين حوانيت شارع سيمان باشا وشارع قصر النيل.. وكانت سعيدة وهي تصعد الشقة وتنزل منها بالمصعد الكهربائي. وكانت سعيدة وهي ترى وجوه جيرانها وكلهم من الأجانب.. وخيل إليها أنها انتقلت من مصر كلها لتعيش في باريس، ولم تكن تتصور في باريس شيئا أكثر مما يحيط بها، وقد أثرت فيها هذه الدنيا الجديدة التي انتقلت إليها وبدأت تتطبع بها. الرواية واكتمل لها كل شئ .. النجاح والحرية

ورغم ذلك لم تكتمل لها السعادة.. كانت تحس أن هناك شيئًا ينقصها.. شيئا كالفراغ يحيط بها من كل جانب.. فراغ كبير

العنصر المشترك بين الشخصيات النسائية في روايات إحسان وهو الذي يسبب الفراغ الذي يحيط بالشخصية ولم تستطع الخروج منه ألا وهو عدم وجود صديقة، أو أم تحكي لها ما تشعر به، فأمينة أمها تركتها، أما عمتها كانت النموذج الذي تخشى أمينة أن تقتضي به أو يكون لها المصير ذاته من تحكم الزوج والسياق المعيش، فكان الإقصاء النفسي لنموذج العمة اختياريا. وكذلك أم فايزة بالرغم من وجودها، إلا أن الفجوة التي أحدثتها الأم بسوء أفعالها، جعلت فايزة تشعر بالوحدة.

أما أمينة فلم يكن لها أحد ولكن كانت حياتها يملؤها الفراغ برغم عملها ونجاحها وحريتها، وازداد اتساع الفراغ الكبير الذي يحيط بها.. وأخذت تستعرض بين حين وآخر حياتها كلها، وخيل إليها أنها جاهدت طويلا طول حياتها منذ حياتها بالعباسية وضرب عمتها لها إلى اختيارها الجامعة الأمريكية هربا من العقلية المصرية كلها.. إنه جهاد طويل عذبها خلاله عنادها، وقضت السنين تعصف بها أحاسيسها الهوجاء.. كان جهادا في سبيل حريتها.. الحرية من البيت، الحرية من التقاليد والحرية من الشرق، والحرية من حاجتها إلى الناس.. لم تكن تعتقد أن الحرية نفسها هي هذا الفراغ! كل ما يهمها إنها كانت تريد أن تشغل الفراغ الذي لديها، ومع ذاك الوقت تأخذ حريتها،ولكن لم تكن هذه الحرية ولكن كسر التقاليد بعنادها خيَّل إليها الحرية. ما تريده هو الحرية حريتها، ولكن

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هل تفهم ما معنى كلمة الحرية؟ لعله حدث، فقد بدأت تفهم أن كلمة الحرية تأتي معها مسئولية، ولكن هل فهمت ما يعيه عباس عن معنى كلمة حرية؟!

ومن العوامل المشتركة في الروايتين أن عمر الفتاتين كان متشابها، وكانتا في عمر المراهقة، وهو العمر، الذي ينشأ فيه نزعة الظهور لدى الفرد وقد ظهرت عليهما مظهر التمرد، لإثبات هويتهما وذاتهما.

سنجد أن الزمن النفسي منحصر بين فتيات في عمر المراهقة تريد أن تثور على حياتها وذلك في وقت قبل النوم وكأنه زمن للبحث عن هوية النفس التي تمر بالانتظار المميت الذي لا ينتهي لها إلا أن تحدث أمرًا غير معتاد. و تُروي الروايتان بصيغة الماضي، ويتضح لنا أن السياقات الزمنية في الروايات النفسية وغالبًا في روايات إحسان عبد القدوس التي تتخذ من الأمراض النفسية شكلًا مرضيا نفسيا بحيث تنقسم الأزمنة فيها إلى زمانين للشخصية النفسية الواحدة حيثُ يكون زمن في نطاق لا وعي تمر بها الشخصية المريضة ولا تشعر به كما تكون في وعيها، والزمن الآخر هو الزمن الواعي الذي تمر به الشخصية المريضة ويكون في وعيها ومدركة تمامًا بما تمر بها من وقت زمني من زمن التخطيط إلى زمن التنفيذ لحياتها.

زمن التخطيط في تيار اللاوعي، التخطيط لحياتهما في هذه اللحظات (الصدمات – من خلال الشعور بالحزن غير المبرر – أو من خلال تحفيز النفس للبحث عن الهوية). ونجد أن هذا الوقت يكون في الليل، يصاحبهما الألم، والمعاناة، مع ضجيج النفس الهالكة لهما، لما يعيشون فيه من الحياة، فالكل يعنف نفسه في الليل ويؤنبها ويعذبها، وهذا الوقت بالنسبة لهما هو جلد للذات، ولكن بنسب متفاوتة مع كل منهما، فالفتاتان تسترجعان بالذكريات وهما في غرفتهما، فغرفتهما مليئة بالذكريات التي لا تبوح لأحد عنها ولكن تبوح لنفسها فقط، وتبدأ في هذا الليل تحاول أن تخطط بطريقة لا واعية في هذا الوقت بالتحديد عن ما ستعايشه الفترة المقبلة، ونجد فايزة في وقتها تفكر دائمًا وتهرب من واقعها بطريقة لا واعية بحلمها بفارس أحلامها التي تريده وهو الكاتب منير، وقررت وخططت بطريقة يائسة لا واعية ولكنها بعد ذلك عندما يئست من الحياة حاولت الانتقام من نفسها وكان مع أول شخص أرادها وأحبته. وتمرد أمينة التي لا تعرف ماذا تريد من حياتها؟ فهي حائرة ، وكل ما تعرفه رفضها لحياة أسرية باءت مع والديها بالفشل، فعقل أمينة مشتت.

ونجد أن زمن التنفيد في تيار الوعي لكل فتاة منهما، وهو تحويل تخطيطها التخيلي إلى واقع ملموس، وهو ما يحاول أن يدمج الفرد بالوقائع والتخطيط التخيلي ويحصره في الوقائع الواقعي ليتحول من اللاوعي للوعي، وكأن الراوي مقيدا بمساعدة القراء على العثور على أنفسهم في الزمن المروي، بما يدفع السرد إلى الأمام بفعل كل ما يحدث في الزمن المروي، فإنه في الوقت ذاته يُسحب إلى الخلف، عبر فقرة من الفقرات أو

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الرحلات القصيرة إلى الماضي، لا تشكل فقط استرجاعات تدفع الزمن المروي قدما، بل هي تحفر من الداخل لحظة الحدث الفكري، وتضخم من الداخل لحظات الزمن المروي، لأن اشتباك الحاضر المروي مع الماضي المستعاد للشخصية يمنح للسرد عمقًا زمنيًا سيكولوجيًا على الشخصيات[٢٩]

ونجد في هاتين الروايتين أن الزمن يتشكل بطريقة واحدة، وهذا لأن مصدر القلق واحد لبطلة كل رواية منهما وهذه البطلة تعاني من قصة الحب وقت الليل حيث يكون وقتا للشجن والذكريات والتذكر والأحلام لفتى أحلامها التي طالما حلمت به، لينتشلها من ضياع النفس التي تعتقده، هذه الفتيات كسائر الفتيات التي تريد الحب من رجل يُكن لها الآمان كحواء التي خُلقت من ضلع آدم، حتى وإن فكرت في مستقبلها، ستبقى ضائعة دون رجل، لأنها بدونه لا تشعر بذاتها وثقتها وكأنها تستمد طاقتها وحيويتها وثقتها من نصفها الثاني التي تريد أن يُكملها، فهي تختفي من حياتها بحياة خيالية مع شريكها داخل عقلها سواء أكان هذا الشريك بدا لها كالوهم كما في رواية الطريق المسدود، أو أمينة التي ضحت بمبادئ المجتمع في ظل وجودها مع الرجل الذي أحبته، وترتكز أحداث الرواية على فترة المراهقة وهي المرحلة التي بدأ في وصفها الراوي العليم من بداية الرواية.

والمكان لفايزة وأمينة هو الغرفة كما وضح من خلال سرد الراوي العليم لنا في قصتهما، حيث إن الغرفة هي الحماية من المخاطر التي تلف في صدرها وعقلها، إذا كان المكان كالغرفة، والفراش والوسادة والسقف التي طالما تحملق فيه بعينيها، مرتبطا بالحالة النفسية لتتذكر كل ما هو في مُخيلتها، لقد قامت فايزة بتغير مكانها لعلها تجد استقلالها وسلامها النفسي في مجتمع سليم ذات مبادئ وقيّم، وأمينة انتقلت للعيش في بيت أبيها لتجد حريتها وتُكمل تعليمها، ولكن هذا لم يفِ بالغرض، فقد كان الإحساس نفسه والشعور لهما في المكان الآخر، وكأنه لا إراديًا يتدخل العقل اللاوعي ليصور كل ما يرهقه ويرسم ويتذكر ما لا يستطع تغييره، أو نسيانه، ولكن أمينة في البيت الجديد اختلف إحساسها، وهي أنها نضجت لتتحمل مسئوليتها، ولكن ظل شعورها بالفراغ هو الدائم الذي مهما تحقق لها من أهداف، لم يمتلئ حتى امتلأ قلبها بالحب.

"أما بالنسبة لوالد الفتاة لم يكن يعلم بتفاصيل الكثيرة التي تمر بها ابنته ولم يتدخل ويدخل في شئونها حتى لم يكن يعلم شيئًا من أن هناك رجلًا جاء لزواج ابنته وقد قابل هذا الرجل مرة عندما حتمت عليه التقاليد أن يقابله، ولكنه في ترك إتمام اجراءات الزواج لأخته وزوجها،،،،،، لقد عاش طويلا في دنياه السعيدة لا يزعجه فيها أحد، ولا يزعج أحدا،،،، ولكن مع استعانة أمينة بأبيها في دخول الجامعة بدأ يحس

[٢٩] ينظر، لتجربة القصصي للزمن ، ص ١٧٦، ١٧٧

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بالحيرة والقلق والخوف، وكأنه آدم وقد طرد عاريا من الجنة ليواجه إحساس مسئولية كأب الذي لم يكن يعتاد عليه.."[٣٠]

وكانت شخصية الفتاتين، قوية لم تنسق لشئ إلا لرغبتهما في الحياة، ويتضح لنا هذا من خلال الروايتين:

كانت قوية في كل شئ.. قوية في عدم الانسياق للتيار الفاجر..... وقوية في مقاومتها للإغراء الذي يطوق بها.. وقوية في حرصها على ذكرى أبيها... ولكن ضعفها كان في خيالها الذي استولى عليه الأستاذ منير حلمي بقصصه.[٣١]

لم يكن يهمها شيئًا، ، فهي تعيش بعيدا عن كل هذا في دنيا خاصة بها، وهي وحدها التي تعلم سمائها وأرضها وأسرارها وهي فوق ذلك واثقة في نفسها كل الثقة، ربما إلى حد الغرور واثقة في جمالها وذكائها ومواهبها ، واثقة من أنها تستطيع أن تُحَرِّك مدرسة فؤاد الأول كلها بطرف أصبعها وأنها تستطيع أن تثير فتنة بين رجال الحي برموش عينيها، وأن نساء الحي لا يستطيعن مهما طالت ألسنتهم أن يستغنين عن صداقتها وودها ، فهي تُدعى دائمًا إلى المقابلات لتعزف على البيانو وتغني على أد ما يطول لسيد درويش،،،،،، وكانت تدعي إلى حفلات الزار التي يقيمها الحي[٣٢]

ويعد التعليم أقوى الوسائل التي تُساهم في تمكين المرأة وحمايتها من أي اضطهاد أو انتهاك لحقوقها، فالمرأة لا تريد إلا التحرر والحرية لذاتها، ولم تطلب أكثر ما يطلبه الرجل في تعليمه وعمله، ولا تريد أن تقتصر حياتها لتكون ملكا لرجل آخر، أو تكون تحت عبأة رجل أو تكون ربة منزل تبقى في البيت، ويتحكم بها أحد من أهلها أو زوجها، ، كل إمرأة تريد أن تكون حرّة لذاتها فهي تريد الحرية في تعليمها وتحمل مسئوليتها واختيار الزوج، وهذا ما يخالف مجتمعنا التي تُعاني فيه المرأة، ولكن ما حدث للبطلتين في الروايتين بعد إكمال تعليمهما لا يوحي باستقلالية المرأة بعد وصولها للهدف التي طالما عافرت حتى تصل لتعليمها ، بل اجتهدت في دروسها، ونجحت، ونتوقع من هذا النجاح وهذه المثابرة على استكمال تعليمها، أنها ستكون كما لا ينبغي لأحد من قبل، ولكن الذي حدث كان غير متوقع للفتاتين، فنجد بطلة الرواية فايزة التي تحاول الهروب من مجتمعها وحاولت كثيرا حتى تثنت لها فرصة إكمال تعليمها وأصبحت مُعلمة، فبالرغم من كل ذلك، وتحقيق هدفها، إلا أنها عندما تعرضت لصدمة في مجتمع آخر، يذبذب آخر ما تبقى لها من عزيمة وإيمان نراها تسقط أمام أول هزة نفسية تحدث لها بعد إتمام تعليمها، أما أمينة ظلت تطالب وتتمرد وتحارب لإكمال تعليمها ودخولها الجامعة والتحاقها بوظيفتها المرموقة، ووصلت بالفعل لمبتغى أهدافها، لكنها رجعت لنقطة

---

[٣٠] إحسان عبد القدوس، رواية أنا حرة، ص١٠٨.

[٣١] إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود، ص٣٢.

[٣٢] المصدر السابق، ص١٨،١٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الصفر تنتظر حبيبها عباس، وتقوم بكل شئون البيت وكأنها نسخة من عمتها التي كانت تنتقدها. فأي تعليم وأي تحرر وهما تحت وطأة تقيد الاحتواء، فالمرأة تحتاج من الرجل الاحتواء لأنها خُلقت منه، لأنها جزء منه، وهذه هي طبيعة المرأة لأن في الأصل خُلقت حواء من ضلع آدم، فمهما وصلت من أهداف، ستظل فقيدة لهدف واحد وهو الاحتواء لرجل تسكن في قلبها ويسكنها، ويشعرها بالأمان ويملأ لديها الفراغ والوحدة الذي يكون بداخل الأنثى. ولم يهدأ هذا الشعور إلا باحتواء رجل يحبها وتحبه.

أما النهاية فكانت غير متوقعة، بعد كل هذا التمرد من الفتاتين وعدم اليأس، والمشي قدما عكس التيار الذي وجدته (أنا حرة ، الطريق المسدود) تنتهي الروايتان بأن البطلة يُصيبها الحيرة! يائسة لا تعرف ماذا بعد! حائرة، هل من الممكن أن تحدث لهما معجزة لينتهيا من هذا، والزمن لا يتحرك ساكن، ومستمر في ذات الدوامة وفي رواية أنا حرة تنتهي -البطلة المتمردة على العبودية الساعية باستمرارية حريتها- بعبوديتها لرجل سادي لم يتزوج منها بعد، بل تعيش معه كأنها زوجته لم تكتمل الحياة لها بعد وأصبحت مثلما كانت تعايب عليهن خاضعة لمتطلباته، وفي رواية الطريق المسدود حاولت البعد عن طريق الخطيئة التي يُجبرها المجتمع عليه، لتحاول أن تسلك فيه ولكن يقف أمامها الكاتب لينصحها، وتذهب حائرة ماذا تريد أن تفعل، لا تعرف، حائرة نجد في نهاية كل رواية البطلة تعاني ويظهر هذا من خلال استمرارية الأحداث ذاتها والزمن يكون زمنا نفسيا لأنه أصبح الألم ساكن لم ينتهِ أبدًا.

- **الصراع النفسي في الروايتين:**

في روايات **إحسان** نجد ظاهرة التمرد على الحياة التي يعيشها الفرد ليعيش صراعا مع من حوله وصراعا مع النفس للوصول لشيء آخر، شيئًا عكس ما يعيشه.

وروايات إحسان عبد القدوس إذ تناقش معنى الحرية فإنها تلج بوابات الصراع النفسي لإبطالها، متجليا في صراع البطلة أمينة للوصول لمعنى الحرية، الذي ينفي عبد القدوس كونها مطلقة مؤكدا أن وأكثرنا حرية هو عبد للمبادئ التي يؤمن بها، وللغرض الذي يسعى إليه.

وتبدأ رواية أنا حرة بتاريخ كأن الراوي يكتب شيئًا من ذكرياته وماذا حدث له في هذا اليوم ثم تابع الرواية بوصف فتاة وصفًا دقيقًا كأنه يرسمها ويدرس أفعالها، ومن عنوان الرواية "أنا حرة" سنعرف أن الكاتب في هذه الرواية يتحدث عن المرأة التي تحرّر من العادات والتقاليد الاجتماعية، وتسعى لحريتها وتدافع عن هذه الحرية وتطالب بها، فلكل إنسان حريته، ولكن بعض المجتمعات تفرض على الإنسان نمط حضوره بل وتقيد حريته في العيش، خاصة إذ كان امرأة، فقد عانت الكثير من النساء بسب العادات والتقاليد والعُرف والمجتمع، حاولت أمينة في كل فرصة أن تثبت أن لا سلطة عليها سوى نفسها، فهي ذات إرادة حرة يمكنها أن تفعل ما تشاء سواء في الدراسة أو العلاقات العاطفية. فكانت تريد أن تنطلق.. وكانت تحاول أن تعوض هذا بأنها انطلقت عدة مرات

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وكانت في كل مرة تعود لتستقبلها عمتها بالشبشب، أو زوج عمتها، وكانت في بادئ الأمر تبكي وتصرخ وتستغيث وهي تحت الصفعات وضربات الشبشب، ثم بدأت، تدافع عن نفسها وتصرخ وتصد الضربات بذراعيها، وتجادل عمتها وزوج عمتها وقد صاحت في وجههما يوما، ويوضح لنا الراوي ذلك في الرواية:-

.. كانت تذهب إلى الحقول في شارع بين الجنانين.. وكانت في كل مرة تعود من انطلاقها لتستقبلها عمتها بالشبشب، وكان أحياناً يتولى استقبالها زوج عمتها، وكانت في بادئ الأمر تبكي وتصرخ وتستغيث وهي تحت الصفعات وضربات الشبشب، ثم بدأت تدافع عن نفسها وتصرخ وتصد الضربات بذارعيها وتجادل عمتها وزوج عمتها، وقد صاحت في وجههما يوماً: -أنا حرة.. أعمل اللي أنا عايزاه.. ما حدش له دعوة بيّه. وأخرسها كفّ زوج عمتها بصفعة على شفتيها، وردت عمتها: -حرة!! حر لما يلهفك، قليلة التربية!.. وعندما هدأت أخذت تكرر بلهجة ساخرة: أنا حرة.. أنا حرة!! ثم انطلقت دموعها مرة أخرى.. هل هي حرة، وهل يقدّر لها يوما أن تكون حرّة تفعل ما تريد؟.. متى ستخرج من هذا البيت؟ وإلى أين؟[٣٣] **..".**

ويتشكل تمرد أمينة لتطلعها للحرية، والتي تسعى من خلالها إلى الاستقلال، وفعل كل ما تريد، وهذا سيتم من خلال تمردها على العادات والتقاليد، التمرد على المجتمع بأعرافه وتقاليده، نشأت في حياة مفككة حيث انفصل والدها عن أمها، تزوجت أمها وتركتها، ولكن الأب الذي لم يقدر على تربيتها، تركها لأخته، ونشأت أمينة بين أبناء عمتها ووالديهم، و بسبب إصرارها على تكميل تعليمها، حزمت أمينة أمتعتها وارتحلت للعيش عند والدها، وفي هذا الوقت كانت قد وصلت إلى سن الجامعة، والتحقت بالجامعة الأمريكية. وتخرجت أمينة ثم التحقت بوظيفة في شركة، وعاشت الحرية، ولكن بعد كل ما حققته عندما يأتي الليل وهي على سريرها تصارع الوحدة. هكذا كان يصورها الكاتب طيلة هذه الليالي، قلبها فارغ يعم بالفراغ دائمًا، ودفعت الوحدة أمينة للاتصال بمكتب عباس، وقررت بينها وبين نفسها أن تذهب لعباس، وطلبت موعدا منه، وقد قبل الموعد، ثم تطورت اللقاءات بينهما، ومرت الأيام وهما فرحان معا، حتى انتهى المطاف بأمينة في السكن في شقة عباس، دون أن يرتبطا بالزواج، وعاشت هكذا بسعادة، واستقرار نفسي، وعلى هذا انتهت الرواية[٣٤].

فقد كان التمرد طبيعة أمينة منذ نشأتها كانت عنيدة متمسكة بآرائها، والسبب في ذلك نشأتها في أسرة مفككة لوالدين مطلقين وعاشت في منزل عمتها رغم أن والدها

---

[٣٣] إحسان عبد القدوس، رواية أنا حُرة، ص١٠

[٣٤] ينظر، سراب الصبيح ، مقال الكتروني، قراءة وحدة المرأة في رواية «أنا حرة-al) » jazirah.com) ، السبت، ٢٥ يناير ٢٠٢٠

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ووالدتها مازالا علي قيد الحياة وكان فقدان الأب والأم المعنوي ودورهما المحسوس تأثيرا في تربيتها وتشكيل شخصيتها، وهذا أدى لسعيها للحرية..

"وأشعرتها هذه البيئة الجديدة التي انتقلت إليها بكثير من الحرية التي لم تكن تتوافر لها في حيي العباسية، ورغم ذلك فهي لم تكن سعيدة"رواية أنا"[٣٥].

وحاولت أن تنام .. ولكن شيئًا وقف يطرد النوم من حولها ويشد جفنيها ويعلقهما في سقف الحجرة.. شيئًا كأنه هذه المحكمة التي تنتصب في ضميرها كلما أخطأت أو كلما اعتقدت أنها أخطأت.. وكانت تخاف كثيرًا من هذه المحكمة التي تنتصب لها كل مساء، فإذا ما وضعت رأسها لتنام سمعت صوتًا ينبعث من صدرها كأنه صوت "حاجب" الضمير يصيح: "محكمة!!" ويبدأ بعدها الحساب، فإذا كانت صفحة يومها بيضاء نامت نوم العافية والهناء، وإذا كان هناك ما يشوب يومها أرقت وتقلبت في فراشها كان يدا مجهولة قاسية تشويها على جمر النار وتحرص على أن تحرق كل قطعة من بدنها، وقد حكمت المحكمة عليها في هذه الليلة بالعذاب .. لقد أخطأت، وكذبت[٣٦].

لم تكن أمينة تتعذب وهي تحاسب نفسها، لأنها تأخرت في العودة إلى بيتها وأزعجت عمتها وزوج عمتها، ولا لأنها رقصت، ولا لأنها سمحت للفتيان بتقبيل وجنتيها فقد كانت كلها قبلات بريئة– ولو في مظهرها – وكانت قد تعودت على هذه اللمسات العابرة حتى لم يعد ضميرها يحاسبها عليها..

ولكنها كانت تتعذب لأنها كذبت تتعذب لأنها كذبت، وهي لا تحب أن تكذب، وتحس بالحطة وبجرح كرامتها كلما كذبت..[٣٧]

وكانت من وجهة نظرها أن الحرية تكون للرقص واللعب ومخالطة الشبان وتفعل ما يحلو لها دون أن تعي أن الحرية مسئولية.

وتجمع عذابها في دموع انسابت من جدبد فوق وجنتيها.. بكت لأنها كذبت.. وبكت لأنها ليست حرة في قول الصدق .. ثم تهاوت جفونها تحت ثقل دموعها .. فنامت في أحضان العذاب!![٣٨]

وكانت تقابل بكل ما يمس حريتها بالرفض والعناد، فتدخل فى صدام دائم ومتكرر مع عمتها وزوجها، وتتحمل صفعاتهما التى تتلقاها بابتسامة ساخرة، أما عن العلاقات العاطفية كانت من أكثر الحوارات شهرة من الرواية :

---

[٣٥] إحسان عبد القدوس، رواية أنا حرة، ص٧٤.
[٣٦] المصدر السابق، ، ص ٨٢
[٣٧] المصدر السابق، ص٨٦.
[٣٨] إحسان عبد القدوس، رواية أنا حُرة، ص ٨٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

"أنا ميهمنيش إنك توافق، كفايا أنا أوافق وعمتي توافق.. علشان توافق لازم يكون من حقك إنك متوافقش، وانت ملكش الحق دا[٣٩]."

تلك الجمل التي كانت ردًا على تعليقه على وضعها لمساحيق التجميل لأول مرة يمكن من خلالها فهم جزء كبير من شخصية أمينة، فهي صريحة، ثائرة، متمردة، عنيدة وقوية لا يمكن كسرها، طموحها في الحرية لم يكن يقف عند كسر العادات والتقاليد بل أصبح يتطور فكرها لأبعد من ذلك، وعندما تقدم رجل لزواجها فجأة خافت أن تعيش سجن حريتها مرة أخرى ودافعت عن نفسها بعدم الزواج ورفض الرجل الذي تقدم لها، مع إعجابها به **"أحلفلك إن مافيش راجل تاني، وأحلفلك إن عمري ما أتمنيت راجل أحسن منك.. أنت في نظري زوج مثالي.. لكن أرجوك تحاول تفهمني، أنا قعدت طول عمري مستنية اليوم اللي أقدر أدخل فيه الجامعة، وأحلم إني اشتغلت وبقيت حرة نفسي، وخايفة لو اتجوزت قبل ما أحقق حلمي إني أفضل ندمانة طول عمري.[٤٠]**

نجد دائمًا عباس في المخزن الخلفي من ذهنها، فكلما استدعت أحدا يكون معها في ذهنها بطريقة لا شعورية ولا واعية منها تجد أمام ذهنها عباس التي طالما لم تعرف لماذا تفكر فيه، وتحاول أن تعوض هذه الرغبات الجامحة الغير المشبعة لترضى لديها الهوا، وتلك الأحلام هي وسيلة من وسائل إشباع الرغبات التي تكون صعبة التحقيق في الواقع، ولكن اتجهت فيما بعد لصديقها جلال دون أن يكون بينهما عهدًا للحب ولكن من جانبها هي كان إشباع الرغبات على القبلات وما إلى ذلك، ولكنها لم تكن تجده فارسا لأحلامها التي تذوب بين يديه وتضحي من أجله بل كان فقدا لإشباع رغبات لتجربة الغرائز لديها، وتفريغا لرغبتها.

والصراع بدأ يشتد عندما شعرت بحريتها كاملة ولم تكن راضية عن هذه الحرية، وكانت تشعر دائمًا أن شيئًا ينقصها، لم تحققه بعد، وربما هذا كان متمثلا بشعورها الناقص بالأمان والاطمئنان المفقود لديها منذ ولادتها،وفي النهاية يصدم الكاتب القارئ إذ أن بطلة الرواية التي تبحث عن الحرية وتحارب من أجلها نجدها في قمة العبودية ، عبودية المرأة للرجل الذي تحب، فعندما اصطدمت بعباس ووجدت الحب معه تغيرت وجهة نظرها وصراعاتها لتنتهي في النهاية للخضوع بكامل إرادتها وحريتها فحبها له أعادها للسياق وللخضوع وللسلطة الاجتماعية والعاطفية التي يمثلها الرجل ، وفعلت مثل ما كانت تفعل زوجة عمها مع زوجها، ولكن كان هذا كله بدون زواج، وهذا يدل على أنها مضطربة، لا تعرف حقيقة أهدافها الموصوفة برؤيتها للحرية.

---

[٣٩] المصددر السابق، ص ٣٥

[٤٠] المصدر السابق، ص١٠٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وفي علاقتها العاطفية مع زميلها كانت ما هي إلا إزاحة عن رغبتها الأنثوية التي تطرأ عليها في كل ليلة لتشعر بهذه الأنوثة التي تنفجر بداخلها، واقتنعت في النهاية بأنها من الممكن أن تتخلى عن حريتها في سبيل الرجل الذي تحبه، إلى درجة أنها أزالت كيانها وهدمت كل ما بنته لنفسها لأجله.

ويتضح لنا أن مكنون مفهوم الحرية ينحصر تحت بند العبودية، عبدة للحياة التي تريدها وتسعى لها، مثلما قال لها "عباس".. وهي على استعداد أن تقتنع بكل ما يقوله لها، حتى لو لم تفهمه أو حتى لو لم يعجبها، مثلما هاجمها عندما قالت له إنها ستساهم في جمعيات خيرية تساعد الفقراء، فهاجم فكرتها بقسوة ورفض حتى فكرة مساعدة الأطفال قائلاً إن الفقراء وأطفالهم لابد أن يموتوا حتى يتعلموا ألّا يستسلموا ويثوروا ويطالبوا بحقوقهم، فالمفترض أن الحرية هي ألا تدع شيئًا تحبه يقيدك ويسلبك إرادتك ويجعلك تضيّع نفسك، ومن شروط الحرية هي ألا تصير عبدًا لما تحب، والبطلة لم تكن تبحث عن الحرية، ولكن نجدها تبحث عن الاحتواء والحب والسعادة التي طالما فقدتهم من صغرها، فهي لم تجد كل ذاك بسبب نشأتها المفككة، بينما هي في الحقيقة كانت تبحث عن السعادة أو عن الشخص المناسب، وهذا الشخص كان عباس الذي أثر في كيانها وجعلها تفقد عقلها وتصبح ذات نفسية هادئة، تختفي من شخصيتها مظاهر التمرد والتعنت والعناد الذي كان نتيجة اضطراب سلوكها النفسي تأثيرًا بنشأتها والمعاملة القاسية، وغياب الأم والأب عنها، التي كانا من المفروض أن يكونا مصدرا للاحتواء والأمان. والحب وأمينة المتمثلة في الشخصية المتمردة، التي تراها مستهترة بسمعتها، عندما حصلت على حُريتها، فقد أصبحت شيئًا آخر، حيثُ خرجت منها شخصية قوية تحاسب نفسها على أخطائها لتسطيع تصحيحها وكأنها الرقيب لذاتها، ووهبت حريتها لإثبات نجاحها، وتحدّي ذاتها للنجاح، وظهر هذا التحدي عندما يئست عمتها وزوجها من استقامة حالها، وتركوا لها الحرية في أفعالها، وكان هذا يأس من اعتدالها، وليس بإرادتهم، وعندما شعرت بنصرة تحديها وحصولها على حريتها التي تنشدها، فوضعت نجاحها أمام أعينها تتحدى به نفسها وقسوتهم عليها، وعندئذ تدرك أمينة أن الحرية مسئولية، وتجتهد فى دروسها إلى أن تنجح فى الحصول على شهادة التوجيهية، مستخدما في هذا عقلها اللاوعي، الرقيب الذي يظهر بين فترة وأخرى في حين فعلت شيئًا يخالف المبادئ، ليقول لها:

أصبحت مسئولة عن الحرية اللي حصلتي عليها بعنادك وكفاحك، الحرية اللي أخدتيها، بعدما انتصرت على تقاليد عيلتك وتقاليد العباسية وإشاعات الناس عليكي، حريتك وأخديها، لما نشوف هتعملي بيها إيه.دوست عليها. وتقرر العمة زواجها ويكفيها ما نالت من تعليم. ويأتى خطيب، ولكنها تستغل خلافا طفيفا وترفض الزواج، مقررة أنها سوف تكمل تعليمها. وترفض العمة وزوجها بقاءها تحت رعايتهما، فيضطر

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والدها إلى أخذها للعيش معه ورعايتها، وتجد حرية أوسع فى منزل والدها الذى أصبحت هى سيدته.

و ظلت تحس بمسئولية هذه الحرية وفي شخصية أمينة التمرد يعني على الذات، والتمرد على العادات والقيم، وأعتقد أن أمينة كانت تقف في وضع بيني، بين التمرد والخضوع ولم يظهر الخضوع إلا عندما خفق قلبها لعباس؛ أمينة سعت لحريتها ووصلت إليها، لكن حين وصلتها وجدتها تجويف عميق من الوحدة، ولم تنسجم مع هذه الوحدة، بل كانت تصارعها أشد صراع، وبعد أن وصلت إليها باختيارها، فرت هاربة منها باختيارها، وما فرارها من الوحدة، إلا فرارها من الحرية، التي جسدتها الرواية في الوحدة، وهي حين فرت منها كان الملجأ الوحيد هو بيت عباس، وعدم ارتباطها به في الزواج يحمل رسالة مبطنة أخرى؛ فلو ارتبطت به زواجا لكان ذلك شأن البشرية وطبيعة الحياة، لكن من وجهة نظر الرواية أن حياة أمينة لم تكن تحتاج الرجل، وهذا الاحتياج كان سيتمثل بالزواج، بل طبيعة أمينة هي من كانت تحتاج رجلا تأوي إليه، وهذا ما تمثل في وصولها إلى الاستقرار النفسي بعدما استقرت في بيت عباس.

ومن زاوية موازية، بدأت رواية (الطريق المسدود) بوصف البطلة فايزة وهي راقدة في فراشها.. كل شئ فيها نائم إلا عينيها وقلبها. ويتضح لنا هذا في هذه السطور من الرواية.

ولو حسبت الساعات التي تقضيها راقدة في فراشها، لوجدت أنها تستغرق نصف عمرها[٤١]..

نجد أنها تهرب من الزمن والحياة بخيالها، فالحياة لم تكن راضية عنها، لذلك نجدها هاربة بعقلها ووجدانها ولكن جسدها ما زال على الفراش، ويوصف لنا الراوي هنا حياة فايزة، والتي تتكرر وتعتاد عليها كأنها أصبحت شيئًا عاديًا، بل تقابل كل شئ بالسكون والثبات، حتى في نهاية الأمر وصل الأمر إلى انتقامها كأنها تُعاقب نفسها على تلك الفضيلة التي تتسم بها، لتذهب لأول شخص رآته ملاكا في عينيها، حتى يكون في نهاية الأمر لها شيطان يلتهم أفكارها وجسدها، ولكن ما لم تتوقعه أنه بالفعل كان الملاك المُنقذ لها في لحظة يأس وضعف، لقد انتشلها من آلامها بكلماته التي استيقظت بداخله قبل أن يوقظها.

" وكانت الساعة في تلك الليلة قد بلغت الحادية عشرة.. وعيناها لا تزالان مفتوحتين، وقلبها لم ينم.. وبين يديها كتاب.. وسمعت أكرة الباب تدور في عنف.. ولم تتحرك.. وسمعت طرقات عنيفة على بابها.. ولم تتحرك أيضًا.. إنما رفعت عينيها عن الكتاب، دون أن يبدو تعبير جديد على وجهها، وأخذت تنظر إلى سقف الحجرة، وكأنها

[٤١] أحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود، ص٨

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

لا تزال هائمة في خيالها، أو هائمة في سطور الكتاب الذي تقرأه، وكأن هذه الطرقات ليست على بابها..

واشتدت الطرقات فوق الباب، والأكرة تدور ناحية اليمين وناحية اليسار كأنها تحاول أن تتخلص من يد مجنونة تقبض عليها.. ثم سمعت صوتا مخمورا يصرخ في كلمات متعثرة:

– انتم قافلين الباب ده ليه.. مخبين عنا ايه جوه؟!..

ثم سمعت صوت أختها خديجة، تقول بين طيات ضحكات خليعة مفتعلة:

– ابعد عن الباب ده.. مالكش دعوة بيه!..

وقال الصوت المخمور:

– ماليش دعوة إزاي.. ليه دعوة ونص.. ده أنا خلاص .. بقيت صاحب بيت .. والا ايه؟!..

وسمعت أختها تقول وهي لا تزال تلقي كلماتها بضحكاتها الخليعة المفتعلة:

– صاحب كل البيت، إلا الأودة دي..

وسمعت المخمور يقول وقد رفع يده عن أكرة الباب:

– ودي تبقى أودة مين دي؟

وسمعت حديجة ترد:

– دي أودة الشيخة فايزة .. اللي يخشها يمزل عليه سهم الله.. ويطلع مبلم!..

وابتعدت الضجة عن الباب..

وعادت فايزة إلى كتابها، وكأن شيئًا لم يحدث.." [٤٢]

ولدت فايزة في مجتمع سيئ أخلاقيًا، وقررت أن تتمرد على هذه الحياة وعلى هذا المجتمع، ولكنها **تمردت بالهروب**، لجأت فايزة للهروب الداخلي في بداية الأمر وكان هروبا نفسيا بعقلها لخيالها لما تريد من حياة، وعندما سنحت لها الفرصة لجأت للهروب الفعلي ليس بخيالها فقط ولكن بكيانها فقد انتقلت للعيش في محافظة أخرى تعمل فيها مُعلمة لتقابل أحمد الذي تخلى عنها، مع المشكلة التي تعرضت لها، ثم بعدها حاولت أن تمشى مع التيار وكأنها تنتقم من ذاتها على صمودها أمام كل ما مرت به، وكأنها تعاقب نفسها وتجلدها على الفضيلة والمبادئ التي لديها، تعاقبها أن تجعل كل رجل يلمس جسدها، جسدها التي طالما حافظت عليه! ولكن تجد من ينصحها بالعودة عن هذا الطريق. وترك الكاتب النهاية مفتوحة ليترك القرار لكل فرد حسب شخصيته ولا يجبرنا على تقبل قراره.

[٤٢] إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود، ص١٠

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وكانت الصدمة الأولى لها وحزنها والذهول الذي ألحقها مُذ وفاة والدها حيث دائمًا كان الراوي يوضح لنا كل شئ عن الشخصية الذي ألحق بها الحزن، سنجد أن فايزة متأثرة بكل ما مرت به، كما كانت متأثرة أيضًا بشخصية الكاتب التي تسرح فيه بخيالها وكان الداعم النفسي بطريق غير مباشر وداعم لمبادئها من خلال رواياته التي كان يكتبها في ظل الأجواء التي كانت تُحيط بها، كانت فايزة فتاة متمسكة بمبادئ أبيها بعد وفاته، وأصبح صراع فايزة الخارجي مع هذا المجتمع والداخلي الذي يحمل هذه المبادئ. ويتساءل الكاتب في بداية الرواية عن تعريف الشرف والخطيئة وهل هو ما يراه المجتمع أم ما تفرضه النفس التي تحمل الخير والمبادئ، وكان دائمًا ما يأتي في ذهن فايزة هذا السؤال، هل الخيرالذي لدي الإنسان ناجم عن استعداد فطري للخير، يكون في مقدرته مقاومة الشر الذي يحاوطه من كل جانب؟ وكان رد الكاتب أن الإنسان قادر إذا كان فعلا محتقرا الشر، ولديه قوة الإرادة.

والحب الأول لفايزة هو الكاتب الذي كانت تقرأ له العديد من الكتب عن القيم والمبادئ والشرف وكأنها وجدت ما يلامس قلبها وإحساسها وفكرها من خلال ما يكتب عن القيم والفضيلة، فأنها في أمس الحاجة لوجود مثل هذا الشخص في حياتها الذي يشبه روحها، و تصف فايزة فتى أحلامها الأول وهو منير حلمي الكاتب التي يتحدث عن المبادئ لتشعر أنهما من مجتمع واحد وهو مجتمع الخير، **"ما أرق مؤلف هذا الكتاب.. وما أطيب قلبه.. وما أسمى خياله.. ان كل كلمة يكتبها تكاد تتنهد فوق الصفحات، وكل قصة ينشرها ليس لها إلا نهاية من نهايتين: اما الزواج واما الانتحار!!.. انه يعيش مع قلمه في سماء نقية طاهرة، فلا يدري أن على الأرض قوما لا يتزوجون ولا ينتحرون!!..**

فهي تعيش بخيالها مع الكاتب الكبير، للهروب من العذاب الذي تعانيه، وليس فيها كل هذا البشر الذي يحيط بها، واصفة بأن من حولها بالحيوانات والبهائم.. لا فيها صراخ الحيوانات التي تعيش معها، ولا دبيب البهائم التي تسعى حولها". وبالرغم من تحفُظ فايزة، لم تستطع أن تواجه أسرتها، ولكنها اتخذت موقفا صامتا، ويوضح لنا هذا الراوي من خلال الرواية حيث يقول: **وكانت فايزة إزاء كل هذا صامتة.. تغرق في ذهولها أكثر..... ولم يلحظ أحد كل هذه الحيرة التي تضطرب في رأسها، وكل هذا العذاب الذي يزحف على صدرها.**[٤٣]

ولم تنفجر فيهن وتخرج عن صمتها إلا مرة واحدة، لم تأخذ موقفا بالقدرالذي أخرجت ما بداخلها لأختها ولم تسلم منهن ومن ردودهن، فصمتها نتاج عن أنها لم تستطع أن تفعل شيئا، أو تحدث شيئًا يُغير من الواقع الذي أصبحت فيه. وذات مرة،

[٤٣] ينظر، إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود،ـ ص٢١.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

انفجرت فايزة : تسمحي تقوليلي إسماعيل بيه ده يطلعلك ايه علشان يجيب لك أسورة! لتستطرد... وتقول: لو كان بابا موجود.. كان فعصك وقطعك حتت قبل ما تحطي الأسورة دي في ايدك..[٤٤]

ومع الكاتب منير حلمي صعقت من صدمة عمرها و هذه الصدمة كانت هي الموقف المميت الذي أظهر لها نفاق المجتمع جميعًا، وظلت هذه الصدمة تتذكرها دوما، وتحن لهذا الشخص دوما بالرغم من صدمته لها، لم تستطع أن تساير الكاتب بالرغم من حبها له، ولا تساير مجتمع الخطيئة، لقد وصفها الكاتب أنها معقدة، فهي بالأول وبالأخير رافضة للخطيئة التي تراها ولا تريدها حتى وإن كانت أحبت، فهي ترى أنها قد تنازلت بعض الشيء وأدخلت في حضنه، وسرعان ما آثرت الهروب منه ومن الحضن الذي كانت تحلم به، ولكن لمَ رفضت وهي كانت تحبه! هل تيقنت أن هذا الحضن لم يكن الأمان لها، أم تيقنت حقيقته، أم تمسكها بمبادئها التي طالما لم تستطع الخروج منها، أم شعرت أن يراها مثلما يرى المجتمع أسرتها!!

لم تكن تتخيل في المقابلة الثانية أنه يحاول أن يقبلها بهذا الشغف، إنه الرجل الأول الذي احتل قلبها، وخيالها وآمانها وأحلامها، لقد فوجئت بعاطفته الفياضة، التي لم تستوعبها، ولم تُعد نفسها لها، شعرت بالارتباك واشتد ارتباكها وهو يزداد اقترابا منها، كانت تحاول أن تستوعب ما يحدث، ، وكل ما فيها جامد وبارد ولا يوجد إلا ذهنها، فطبيعتها تدفعها للتفكير، ماذا سيحدث؟ وماذا بعد هذه القبلة؟ وماذا يريد؟ ولكنها بالأخير دفعته وتخلصت من التفكير ومن هذا الشغف، شغفه الذي كان يهلك روحها قبل جسدها، لقد كانت تأمن له وتعتقد أنه رجل ذو مبادئ، ولن يتصرف عبثًا معها، لأنه يكبرها بالعمر بحوالي تسعة عشر عاما، هل كانت هذه تصرفات رجل عاقل وكاتب، لماذا رأته هكذا؟ هل هذه بما يُدعى السذاجة في تفكيرها، أم كان هذا المُقدر لها، تحب رجلا مخادعا، لقد ظلت تحبه، وتتذكره في كل صدمة تمر بها، حتى عندما قررت وأرادت أن تقع في بئر الخطيئة، أرادت أن تقع في خطيئة أحضانه، كأنها تستنجد بحضنه من بئر هذه الخطيئة.

..[٤٥] وعندما وجد أمامه فايزة الفتاة البريئة المهووسة بشخصيته، نجده **"وقد تقمص شخصيته هذه بمجرد أن وضع يده في يد فايزة."**[٤٦]، ليستطيع أن يجذبها نحوه، فهو بالكاد شيطان في صورة ملائكية.

لقد حاولت أن تتخطى مرحلة منير حلمي، الذي عرفت حقيقته، ولم تصدق يوما ما يحدث من حولها، وكانت تتساءل دوما لتجد ما يبرر ما تجده من نفاق الآخرين والتمسك

---

[٤٤] ينظر المصدر السابق، ص ٢٢،٢٣.
[٤٥] إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود،ـ ص٣٥
[٤٦] ينظر المصدر السابق، ص٣٦.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بمبادئها، هل هذا عدم اكتفاء نضجي للشخصية وقلة تجاربها في الحياة، أم سذاجة وتعقيد كما يلقبونها البعض، وكانت أختاها يحاولان دوما أن يقوما بتوعية أختهم فايزة الصغيرة التي لم تفهم معني الحياة من وجهة نظرهما ونظرة والدتهن، فهي الرافضة لحياتهم المتمردة ولم يكن تمردا عدوانيا على غرار ما كان تمردا ساخطا صامتا داخليا فقط تحاول أن لا تهتز عزيمتها في وسط هذا التيار، وفي محاورة بينها وبين أختيها وكانت تستند على صدر أختها، لتقول لها أختها:

" أقولك حاجه بس ما تزعليش.. تعرفي .. تعرفي منير حلمي ماشي مع مين اليومين دول؟

ورفعت فايزة رأسها من على صدر أختها ونظرت إليها في لهفة ممزوجة بالألم، واستطردت خديجة:

- **مع زوزو فتحي..**
- **مش ممكن .. دي حجت السنة اللي فاتت مع والدتها..**
- **أهو من يوم ما رجعت من الحجاز وهيه معاه..**

وقفزت فايزة من فوق الفراش ووقفت في وسط الحجرة وصاحت:

- **مش ممكن .. مش ممكن..**
- **أنا بقولك حقايق.. بس عيبنا اننا ما بعرفش نخبي..**

وماما طول عمرها جريئة وصريحة ومايهمهاش حد.. كانت تقدر تعمل كل حاجة وتحتفظ بالمظاهر، إنما مارضيتش تتجوز بعد ما بابا مات علشان خاطرنا، والناس من يومها بيتكلموا عليها وعلينا.. رغم كده فضلت محافظة علينا وعلى شرفنا .. لو كانت سابتنا يوم ولا غمضت عينها عنا، مين عارف كان جرى لنا ايه.. ولولا هي مكنش اسماعيل فكر انه يتجوزني وتأكدي انه ماخطبنيش إلا لما عرف اني شريفة وانه مايقدرش ياخد غايته مني إلا بالجواز..

وقالت فايزة في صوت مذهل:

- **شريفة؟؟ .. ايه هو الشرف؟؟**

وقالت خديجة وكأنها لاتزال تلقن أختها درسًا في الحياة:

- **الشريف معناه انك تشغلي مخك.. انك ماتطلعيش في السما بخيالك، ولا تندبيش على بوزك في الأرض.. تفضلي واقفة على رجليكي وتشوفي الناس ماشية إزاي وتمشي زيهم وتشغلي مخك في كل خطوة؟**

وقالت فايزة في صوتها الذاهل:

- مش فاهمة!!

وعادت خديجة تلقي درسها:

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

– البنات اليومين دول كلهم زي بعض .. كلهم رايحين جايين في السكك .. وماحدش عارف دي رايحة فين ودي جاية منين.. اللي رايحة تقرأ الفاتحة للسيدة يمكن تكون فاتت في سكتها على جرسونيرة .. واللي يقولوا عليها خسرانة تلاقيها غلبانة وعبيطة.. والرجالة كلهم زي بعض محدش عارف مين فيهم الكويس ومين الوحش.. اللي عامل شيخ تلاقيه مقطع السمكة وديلها من تحت لتحت.. واللي داير في البارات وبيضحك وبيرقص يمكن يكون طيب وابن حلال وعنده اخلاق. دي حال الدنيا يا فايزة ، ومافيش قدامك طريق فيها إلا ان تشغلي مخك وتدوري على حالك!!

– وقالت فايزة وكأنها تقاوم اقتناعها ، وتطرد شبحًا مخيفًا يحاول أن يسطو على رأسها :

– أنا مليش دعوة بالناس.. كويسين وحشين، مايهمنيش.. اللي يهمني اني اكون مقتنعة باللي بعمله.. ماقعدش اسكر مع الرجالة واترمي على كل واحد، وأقول الناس كلها بتعمل كدة.. اذا كانت الناس كلها غلطانة ، مش ضروري اغلط زيهم!!. وقالت خديجة وهي تطل على اختها بنظرة مشفقة :

– انا خايفة عليكي يا فايزة .. حتتعبي طول حياتك..

وأجابت فايزة ثائرة:

– معلهش .. أنا راضية بتعبي..

وخرجت وفي عينيها نظرات ثائرة.. إنها ثائرة على الناس كلهم.

وتتحدى المجتمع كله[٤٧]..

إن أغلب الصدمات التي تعرضت لها البطلة ذات المظهر الأخلاقي، جعلها من الداخل في عوار نفسية تهتز شخصيتها لتكون شخصية أخرى، ولكنها صامدة أمام هذه الصدمات، لنجد صدمة أخرى من الصدمات النفسية التي تعرضت لها البطلة، وهي صدمة الدكتور رشاد الذي حاول تقبيلها متسائلة في هذا الذهول الذي يحدث لها من حين لآخر في كل دائرة جديدة تدخلها، لتدخل ولتتجه فايزة لإحساس آخر وهو إحساسها بالظلم

وكانت في السابق تنكر الخطيئة وتنكر من يفعلها، ولكن أصبح الآن في وعيها نضجا لتعترف بكل ما يدور حولها دون استنكاره ونرى ذلك في: **" لقد أصبحت تقرأ الخطيئة وتعترف بها كحقيقة من حقائق المجتمع، ولا تقترفها.**[٤٨]

وكان أول مظهر بعد الرفض للخطيئة من مظاهر التمرد وهو الهروب، لم تكن تهرب من أسرتها تترك لنفسهم وصمة عار، ولكنها تعرف مبادئها وتريد أن تخرج من

[٤٧] إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود، ص ١٦١:١٥٩.

[٤٨] إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود، ص١٧٥

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذا المجتمع ولكن ليست بدفن نفسها مع رجل آخر، فقد أرادت التعليم، وكأنه وسيلة أي فتاة باعتمادها على نفسها والتحرر من فكرة ربط نفسها بأي شيء يقيد حريتها، حتى وإن كان شخصا تخضع له بكل جوارحها، فهي إن أرادت العيش مع رجل سيكون بمبادئها وبعاطفتها، ولكنها استطاعت أن تأخذ التعليم وشهادتها ووظيفتها كمعلمة في محافظة أخرى، فقد رفضت التوصية لها من قبل أمها وزوج أختها وأصرت على الرفض، حتى تقبلوا عملها في محافظة أخرى وكان هذا سبيل الخروج والابتعاد عن مجتمعها، وبيتها وعائلتها.

ومع الهروب لم يتغير شيء بل ازداد الأمر سوءًا، ولم ينفك المجتمع أن يتركها وشأنها، إنها في مرحلة مختلفة من الصدمات التي لم تتوقف، لتهرب من المجتمع، ثم تقرر أن تخرج من هذا بعملها في الريف لتجد أن الحال كما هو، بل يحاول المجتمع الوقوع بها لترجع للكاتب في لحظة يأسها وتقرر أن تُغير اتجاهها إلى اتجاه سلبي كسائر المجتمع المحيط بها، وكأن المؤلف الحقيقي والمؤلف الضمني انحازا لإنقاذ فايزة في اللحظة الأخيرة، بنصيحة على لسان الكاتب لتفيق وتستعيد الثقة المهزوزة، بعد أن رآت حبيبها على حقيقته شيطانا ليستيقظ فيه صوت الضمير، والكاتب سيفيقها من هذا لتجد نفسها حائرة في منتصف طريقين الرجوع أوالانتحار.

لقد قبلت الوظيفة لتفر من المجتمع الذي نشأت فيه.، وقد فرت لتجد نفسها في مجتمع أسوأ منه.. الرجال هم الرجال، والنساء هم النساء، والفساد هو الفساد، والانحلال هو الانحلال.. كانت تظن أنها تفر إلى مجتمع ثابت مستقر له مبادؤه وله تقاليده وله احترامه، ولكنها وجدته مجتمعا كالغابة يحتاج كل من يعيش فيه أن يحمي نفسه من الوحوش .

الناس .. الناس كلهم .. كلهم زيك .. ماحدش رضي يقبلني بشرفي وكرامتي.. كل طريق مشيت فيه لقيته مسدود بالسفالة والانحطاط والأخلاق البطالة.. وأخيرا قررت اني انا كمان أكون سافلة ومنحطة علشان الطريق ينفتح قدامي أنا حاولت كتير.. استمريت في تعليمي علشان ما اقعدش في جو البيت الفاسد.. واتوظفت علشان ما احتاجش لحد.. بعدت عن الناس ماسبونيش في حالي .. اختلطت بالناس.. الناس ضربوني على دماغي [٤٩]

ونظرتها لأحمد كانت لا تقل عن نظرتها للناس المحملة بالشر وارتكابهم الخطيئة، كأنه جزء لايتجزأ منهم.

تمردها كان بعدم قدرتها على تغيير واقعها، فاكتفت ببناء عالم لها من الخيال مع الكاتب منير حلمي الذي تقرأ دوما رواياته، الذي كان يكتب دائما عن الحب الطاهر،

[٤٩] إحسان عبد القدوس، رواية أنا حُرة، ص٣٣٥.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فكانت تجلس في غرفتها رافضة الجلوس معهم، ورافضة ما تفعله أمها ، وأختيها، و حتى وإن كان خلفٌ صالح من تلك البيئة الفاسدة يسعى إلا أن يكون أخلاقه حميدة، فإن نظرات أفراد المجتمع وحدة تعاملهم تُحاصر أن يرغب في أن يكون شخصا صالحا، حتى ينتهي به الأمر لأن يستسلم لفساد بيئته.

وانتهت الرواية بحيرة البطلة، والحيرة هي استخلاص الراوي للنهاية الطبيعية التي تصيب كل فرد في المجتمع يعيش بضمير حيّ، وسط مجتمع مذبذب الأخلاق، مضطرب الضمير، متداخلة مفاهيمه الأخلاقية بين السر والعلن، فليس كل طريق من الحق نهايته حق، وليس كل طريق من الشر نهايته شر.

نظرة المجتمع إلى الفرد وأثره عليه (النبذ المجتمعي):

وإذا قارنا بين الروايتين من زاوية نظرة المجتمع إلى الفرد وأثره عليه، سنجدها أنها واحدة فرؤية المجتمع ونظرتهم لم ترحم أحدا، وعلى الرغم أن المجتمع ذاته على المستوى الأخلاقي ليس ملائكيا، ويحمل الكثيرمن العيوب، فالكل يُخطئ ولكن في الخفاء، وعندما يريد شخصا ما أن يجاهر وأن يُخطئ في العلن، يبدأ على الفور يبدأ النبذ المجتمعي للأسرة بأكلمها لا يخص بها فرد من الأسرة ولكن الأسرة بأكملها، ودائمًا ما نجد أن المجتمع يقوم بنبذ من ظهر على الملأ وكأنهم ملائكة لم يخطئ منهم أحد.

وكانت تقاوم فايزة المحيط الاجتماعي وتعيش في عزلة منفردة عن كل هذا المجتمع بأفكار ومبادئ أبيها، وبرغم القلق الذي تعانيه والذي يترافق مع خوفها النفسي، قد دفعها هذا لإغلاق غرفة نومها كل يوم لأنها لا تشعر بالأمان في بيتها في وسط أهلها، ولم يستطع أحد ممن حولها أن يمنعها من أن تغلق بابها، وكانت تعيش العذاب كل يوم وفي داخلها حزن وعذاب بسبب ما يحدث حولها من أمها وأختيها، وعاشت حياة مختلفة وبعيدة ووحيدة عن أهلها فقد كانوا مختلفين الفكر عنها، وارتقت بنفسها وأفكارها عنهن، وتحاول الهروب سواء كان ضمنيا أو فعليا، وذات ليلة نسيت أن تغلق بابها، ويتضح لنا أنها في هذا اليوم كان عدم إغلاقها للباب نتيجةً لشعورها بالأمان حيث قابلت الكاتب في بيتها في وسط المجتمع الذي لا يتصف بالشرف، وفي هذا اليوم شعرت بالسلام في داخلها، وكانت في جنة أوهامها، ومن كثرة سعادتها وارتياحها وشعورها بالأمان، نسيت أن تغلق بابها بالمفتاح كعادتها. وكأن إغلاقها للباب هو ناتج عن عدم شعورها بالأمان في مجتمعها.

وتتوالى الضربات والصدمات النفسية تباعا الواحدة تلو الأخرى، في دائرة حياتها مما يحاصرها لسبيل من الاثنين إما الاستسلام والرضوخ التام لنشأتها، أو التمرد التام.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وأصبحت تحس أنها تحمل بأمها بأمها وأختيها جرما لا تستطيع أن تواجه به الناس.. وكان يخيل إليها أن الجيران كلهم يشيرون إليها كلما مرت بهم ويتهامسون عليها.. وأن صديقاتها في المدرسة يتقولن عنها ويعلمن الكثير عما يجري في بيتها.[٥٠]

لم يفسحوا المجال لفايزة ، أن تتحدث أو تنتقدهن وفي ذات الوقت لم يفرضن عليها أن تصبح مثلهن، فهي لها حرية الاختيار، أن تختار طريقها، لأنها قررت أن تصمد أمام هذا المجتمع وهذه الخطيئة، خطيئة الأهل والمجتمع والحياة!

اتخذت الأم حيلة الاستسلام للنفاق المجتمعي حتى تساير المجتمع على عيوبه ونفاقه دون أن تفرط هي وبناتها الاثنتين في أنفسهن، وليكن حفاظ المرأة على نفسها، هو الحفاظ على عذريتها، وكان رد أمها عليها عندما تحدثت وانفجرت في وجه أختها قابلتها بالتهكم وقالت لها: **اسمعي يابت أنت.. انا عارفاكي، طالعة لأبوكي حرف بحرف.. كفاية اللي شفته من أبوكي ومن الهم اللي حطه عليه.. تطولي لسانك، تقولي كلمة زايدة ولا كلمة ناقصة، حاقطع رقبتك..فاهمة!**[٥١]

والصدمة الحقيقية لفايزة التي كانت توضحها لها أمها حقيقة من حولها ، أن المجتمع الذي تعيشه يتطلب منها التنازل بعض الشئ عن مبادئها، ولكنها كانت ترفض سماع مبررات الأم لتلك الخطايا، عندما استضافت أمها الكاتب منير حلمي التي كانت تراهُ فايزة دوما الملاك الذي ليس كمثله أحد، اكتشفت أنه لا يراعي المبادئ التي يتحدث عنها دوما في كتبه كالفضيلة والشرف، وكانت القراءة والكاتب هما نافذة الأمل لها للهروب من الواقع المحيط بها ومن خلال قراءتها وجدت العاطفة وانجذبت إلى كاتب القصص التي تقرأها لرؤيتها للعالم المثالي الذي ينبغي أن يعيشه كل فرد في المجتمع.

حينما تصبح فضيلة الشرف رذيلة لصاحبها في بيت الفساد. لتقول أمها إن فوقية وخديجة أشرف من بنات البلد؟ ولكن ما تقصد بالشرف أن تبقى الفتاة عذراء لتكون شريفة[٥٢].

لقد تعرضت فايزة للأذى النفسي الذي يجعلها تفقد قدرتها في السيطرة على نفسها، لم ينته الأذى النفسي على خطيئة أهلها فقط بل علي أفراد المجتمع، وتهامس زملائها في المعهد،تحامل مديرة المعهد عليها، على الرغم من أنها لا تخطئ، ولكن فقط لمجرد أنه هناك سمعة سيئة في البيت الذي تعيش فيه، ووصل الأمر إلى البوابين الذين يتلامزون عليها، معلنين في ذلك مثل مأثور شعبي وهو "اكفي القدرة على فمها، تطلع البنت لأمها".

---

[٥٠] إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود، ص٢١.

[٥١] المصدر السابق، ص٢٣.

[٥٢] إحسان عبد القدوس، رواية الطريق المسدود، ٦٩.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

لقد اهتزت شخصيتها، وهذا كان نتيجة النبذ الاجتماعي لها، وكأن أفراد المجتمع بسلطتهم الزائفة يريدون في سعي منهم بطريقة غير مقصودة أن تفقد شخصيتها ولكنها لم تستجب.

وكثرة الصدمات المتتالية التي تلقتها في محيط مجتمعها أو الطريق الذي وجدت في بصيص من الأمل، جعل ثقتها في مفهوم الخير والحق تضطرب، حتى ظنت أن طريق الحق لن يُجدي نفعا في توجهها.

واختلفت شخصيتها بعد زواج أختها**"وحست أن العائلة انتصرت، واستردت شرفها.. وابتسمت ساخرة من الجميع، وهمست بينها وبين نفسها؟ الناس كلاب، ومن هذا يكفي فايزة لتقتنع أن الناس كلهم كلاب**[٥٣]**..**

وعندما كانت تأوي إلى فراشها لم تكن تجد خيالها فوق الوسادة وعذابها تحت اللحاف.. لقد طردت خيالها، وطردت عذابها.. ولم يبق لها إلا الوحدة!!.. لقد كان الخيال والعذاب يملأن وحدتها، ويلهيانها في عزلتها عنالناس، فلما طردتهالم تجد ما يعوضها عنهما.. لم تجد هناء ولا سعادة.. لم تجد إلا شعورها باحتقار االناس.. واحساسها بالثقة في نفسها..[٥٤]

– أما بالنسبة لرواية أنا حرة، نجد أنه مع مرور الوقت أصبحت سيرة أمينة على كل لسان، في الحي ولكنها كانت لا تهتم بما يقوله عنها فهي تشعر أنها لم تفعل شيئا، وأيضًا وزوج العمة، بدأ يكبت غضبه عليها.. لم يعد يضربها هو الآخر أو يقسو عليها، وإنما أدار وجهه عنها على مضض وأصبح لا يسأل الله شيئا إلا الستر وأن يجنبه الفضيحة بين أهالي الحي.. **ومن هنا شعرت أمينة أن المصدر الوحيد الذي كان مانع عنها حريتها وهو زوج العمة، أدار وجهه عنه، وهي لا تعتريه اهتمام بما يعانيه من ضيق بسبب أفعالها التي بائت لها الفضيحة من وجهة نظر المجتمع، ولكن كل هذا لم يكن يهمها في شئ، بل خُيل إليها بالسعادة لأنها نالت حريتها، ولكن كان لديها شعور آخر مختلف أحست أمينة بأن اليد التي كانت تقبض على حريتها قد انبسطت عنها، وأصبحت تخرج وتعود دون أن يسألها أحد لماذا خرجت ومتى عادت.. وخيل لها أنها تستطيع أن تكون سعيدة بهذه الحرية، ولكنها بدل أن تشعر بهذه السعادة بدأت تشعر بنوع جديد من الشقاء،**[٥٥]

وكان عباس في بداية الأمر يكن الحب لها، ولكنها قد تحدت هذا الحب وأصبح في عقلها اللاوعي، وقد حدث لها نفور من جانبه، وذلك كان عندما طلب منها الانصياع لأفكار المجتمع تجنبا لنبذ المجتمع لها،

---

[٥٣] ينظر، المصدر السابق، ص١٦٤: ١٧٠

[٥٤] المصدر السابق، ص١٧١

[٥٥] إحسان عبد القدوس، رواية " أنا حُرة" ، ص٩٠.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وإذا كانت الأسرة في رواية الطريق المسدود كانت هي وصمة العار والتي سببت لفايزة النبذ الاجتماعي، فإنما أمينة هي وصمة العار التي سببت لنفسها وللأسرة النبذ الاجتماعي، فكان يتهامزون عليها بين أهالي الحي، بسبب تأخرها، وتكبرها وعنادها وردودها على الناس، فكانت لا ترحم نفسها من كلام الناس، وكانت تعتقد أنها لا تقل عن ممن حولها، فهي لم تكن تخفي شيئًا مثلما يفعل البعض.

ونجد من حياة الكاتب إحسان الشخصية الكثير من الصراعات التي ظهرت في كثير من رواياته، و أن كل إنسان له حرية الحق في اختيار طريقه سواء كان بالسلب أو بالإيجاب، ولا يحق للمجتمع ممن حوله أن يعيق حريته واختياره في الحياة فالكل مسئول عن نفسه، ويتحمل نتيجة مسئوليته. ونجد أن ما حدث للفتاتين كان نتيجة حياة الكاتب نفسه (إحسان) الذي كان يريد أن يكون له الحق في اختيار حياته، التي كانت بين النقيضين أمه وجده، ليجد نفسه مذبب تارة يريد هذا، وتارة يريد الآخر، حتى وجد نفسه، ولكن ظل هذا الصراع موجود في باطن أعماق ذهنه، يخرج في هيئته في أعماله.

ويقول الكاتب نفسه، عن رواية أنا حُرة بالرغم من أن البعض يرى كتابتي في هذه الرواية نقلة حقيقية وخطوة كبيرة إلا أن الكاتب ينتقد نفسه حيث يقول:- **"ألمح شخصيتي الصحفية.. إنها مكتوبة بأسلوب الماضي .. وتكاد تكون تحقيقا صحفيا منها قصة أدبية"!! .. وكل هذا يعتبر نقصًا في السرد القصصي، أو في "تكنيك" القصة.. وهو نقص أعترف به.. ومن يقرأ " الطريق المسدود" أو "لا أنام" أو مجموعة قصص " منتهى الحب" يجد أن انفصال الشخصيتين الصحفية والأدبية، وقد تحقق إلى حد كبير، سواء من ناحية الأسلوب، أو من ناحية السرد القصصي.. معللا بذلك؛ هذه الخواطر، أو التحليل، أو النقد.. أثارته قراءتي الثانية لقصة "أنا حرة" ..** [٥٦].

الخلاصة، أن الروايتين تجسدان بنية كامة للتمرد ضد الذات وانغلاقها، والمجتمع وسلطته، كاشفة في لحظة واحدة عن صراع الأبطال، ذلك الصراع الذي لا يفوقه إلا الصراع الكائن في نفس المؤلف ووعيه.

[٥٦] المصدر السابق، ص٧.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- رواية أنا حُرة،إحسان عبد القدوس، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٥.
- رواية الطريق المسدود، إحسان عبد القدوس، دار القلم، ١٩٦٩.

مراجع الدراسة:

١- ابن منظور (ب.ت)، معجم لسان العرب، المجلد السادس، دار المعارف: القاهرة.
٢- أحلام حادين جماليات اللغة في القصة القصيرة القصيرة.
٣- تزفيتان تودوروف، طرائق تحليل السرد الأدبي، مقولات السرد الأدبي، ت: الحسين سحبان، فؤاد صفا، دراسات، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط١، الرباط ١٩٩٢، سلسلة ملفات مترجمة عن عدد من النقاد (رولان بارات، تزفيطان تودوروف، جيرار جنيت، جاب لينتفلت، ولغ غانغ كايزير، آن بانفيلد، أكبرطور إيكو، ميشيل رايمون، أ.ج غريماس، فلاديمير كريزنسكي) ١٩٩٢/١.
٤- توفيق داود (ب ت)، الموسوعة العربية، المجلد السادس، دمشق: هيئة الموسوعة العربية.
٥- حنة مينا، الرواية والروائي، ثمانون وردة، مختارات ٦.
٦- خلود عبد الأحد (٢٠٠٥) ،(أثر برنامج تربوي في تخفيف التمرد النفسي لدى المراهقين، رسالة ماجستير)، جامعة الموصل: العراق.
٧- الخليل بن احمد الفراهيدي: " معجم العين " ، تحقيقي الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المجلد ٤ ، منشورات علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
٨- خوله المطارنة (٢٠٠٠)، (العلاقة بين الضغوط النفسية والتمرد لدى المراهقين واثر كل من صفهم وجنسهم والمستوى التعليمي لوالديهم في ذلك)، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة :الأردن.
٩- راشد على السهل، مصري عبد الحميد حنورة (٢٠٠١ ،(مستوى الإحساس بالصدمة وعلاقته بالقيم الشخصية والاغتراب والاضطرابات النفسية عند الشباب، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد (٢٩) ،(عدد ٢) ، جامعة الكويت.
١٠- رقية، مستوى التمرد لدى طلبة الجامعة، مجلة الباحث في العلوم والإنسانية والاجتماعية ٢٠١٨.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١١- رنا عبيس جبار، التمرد النفسي لدى طلبة الإعدادية شهادة البكالوريس | جامعة القادسية(qu.edu.iq) ، ٢٠١٧م.
١٢- روبرت همفري،تيار الوعي في الرواية الحديثة،
١٣-سراب الصبيح ، مقال الكتروني، قراءة وحدة المرأة في رواية «أنا حرة-al) « jazirah.com) ، السبت، ٢٥ يناير ٢٠٢٠
١٤- شريف سعد الجيار، روايات إحسان ذات الاتجاه النفسي ومصادرها الأجنبية.
١٥- شكري عبد الوهاب، النص المسرحي- دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية-، المكتب العربي الحديث الإسكندرية،١٩٩٧ .
١٦- عبد القاضي المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، ت: أحمد إبراهيم الهواري، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١،٢٠٠٩.
١٧- غنايم، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة.
١٨- فايز خضر محمد بشير ، التمرد وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية ، لدى طلبة جامعة الأزهر بغزة ، مكملة لنيل الماجستير، ٢٠١٢م ، كلية التربية قسم علم النفس، جامعة الازهر- فلسطين.
١٩- فريد سعيدي، عبد الحفيظ قويسي، التمرد النفسي لدى عينة من المراهقين المتمدرسين في ضوء بعض المتغيرات المختارة، جامعة محمد بو ضياف، المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس،٢٠٢٠/٢٠٢١م.
٢٠- لتجربة القصصي للزمن .
٢١- ناجية أمين علي مصطفى، مدى فاعلية برنامج إرشادي في تخفيف حدة سلوك التمرد لدى بعض طالبات المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
٢٢- ياسرة أبو هدروس (٢٠١٠ ،(تقنين مقياس التمرد النفسي لدى المراهقين على البيئة الفلسطينية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد١١ ،العدد٣ ،البحرين.

Translation of sources and references into English:

Sources:

1- Ihsan Abdel Quddous: 1- The novel I am Free, the Egyptian Lebanese House,

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

2- 2-The dead end novel,

References:

1- Ibn Manzoor (B.T), Lexicon of Lisan Al-Arab, Volume VI, Dar Al-Maarif: Cairo.

2- Dreams of Sharp, the aesthetics of language in the short short story.

3- Tzvetan Todorov, Methods of Analyzing Literary Narrative, Categories of Literary Narration, T: Al-Hussein Sahban, Fouad Safa, Studies, Publications of the Moroccan Writers Union, Edition 1, Rabat 1992, a series of files translated from a number of critics (Roland Barat, Tzvetan Todorov, Gerard Genet Jaap Lintvelt, Lugang Kaiser, Ann Banfield, Akbar Echo, Michel Raymond, A.J. Grimas, Vladimir Kreczynski) 1/1992.

4- Tawfiq Dawood (bt), The Arabic Encyclopedia, Volume VI, Damascus: The Arab Encyclopedia Authority.

5- Hanna Mina, Novelist and Novelist, Eighty Roses, Anthology 6.

6- Kholoud Abdul-Ahad (2005), (The effect of an educational program in reducing psychological rebellion among adolescents, a master's thesis), University of Mosul: Iraq.

7- Al-Khalil bin Ahmed Al-Farahidi: "The Lexicon of the Eye," edited by Dr. Abdel-Hamid Hindway, Volume 4, Ali Beydoun Publications, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, Lebanon.

8- Khawla Al-Matarneh (2000), (The relationship between psychological stress and rebellion among adolescents and the impact of each of their class, gender, and the educational level of their parents on that), Master's thesis, Mutah University: Jordan.

9- Rashid Ali Al-Sahl, Egyptian Abdel-Hamid Hanoura (2001), (The level of feeling shock and its relationship to personal

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

values, alienation and psychological disorders among young people, Journal of Social Sciences, Vol. (29), (No. 2), Kuwait University.

10- Ruqaya, The level of rebellion among university students, Journal of Researcher in Science, Humanity and Social 2018.

11- Rana Abes Jabbar, Psychological Rebellion among Preparatory Students, Bachelor's Degree | Al-Qadisiyah University (qu.edu.iq), 2017.

12- Robert Humphrey, Stream of Consciousness in the Modern Novel,

13- Sarab Al-Sabih, online essay, reading the woman's unity in the novel "I am Free" (al-jazirah.com), Saturday, January 25, 2020

14- Sharif Saad Al-Jayar, Ihsan's novels with a psychological orientation and their foreign sources.

15- Shukri Abdel-Wahhab, Theatrical Text - An Analytical and Historical Study of the Art of Dramatic Writing - The Modern Arab Bureau, Alexandria, 1997.

16- Abdel-Qadi Al-Moneim Zakaria Al-Qadi, The Narrative Structure in the Novel, T: Ahmed Ibrahim Al-Hawari, Eye of Human and Social Studies and Research, 1, 2009 edition.

17- Ghanayem, The Stream of Consciousness in the Modern Arabic Novel.

18- Fayez Khader Muhammad Bashir, Rebellion and its Relationship to Parental Treatment Styles, among Students of Al-Azhar University in Gaza, complementary to obtaining a Master's degree, 2012 AD, Faculty of Education, Department of Psychology, Al-Azhar University - Palestine.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898

19- Farid Saidi, Abdel Hafeez Queisi, Psychological rebellion among a sample of schooled adolescents in the light of some selected variables, Mohamed Bou Diaf University, M'sila, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Psychology, 2020/2021.

20- To experience the narratives of time.

21- Nagia Amin Ali Mustafa, The effectiveness of a counseling program in reducing the severity of rebellious behavior among some secondary school students, master's thesis, Institute of Higher Studies for Childhood, Ain Shams University.

22- Yassera Abu Hadros (2010), (Codifying the measure of psychological rebellion among adolescents against the Palestinian environment), Journal of Educational and Psychological Sciences, Volume 11, Number 3, Bahrain.

ISSN: 2537-0847 eISSN : 2537-0898